مجلة المنار

المجلد السادس

الجزء الثامن والتاسع

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ باب العقائد من الامالي الدينية ﴾

﴿ الدرس ٣٩ آية الله الكبرى — القرآن ﴾

فصل (*)

(م ١٠٩) « هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية. ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة » الآية قال ابو اسحاق الزجاج: في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال « فتمنوا الموت » واعلمهم انهم لن يتمنوه ابداً فلم يتمنه واحد منهم: وعن النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لا يقوله رجل منهم الا غص بريقه » يعني يموت مكانه . فصرفهم الله عن تمنيه وجزّعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد . فظهرت بذلك معجزته ؛ وبانت حجته ؛ قال ابو محمد الأصيلي: من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امرَ الله بذلك نبيه يقدم عليه ؛ ولا يجيب اليه ؛ وهذا موجود شاهد لمن أراد ان يمتحنه منهم : وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الاسلام فانزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله « فمن حاجك فيه» الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك ان (العاقب) عظيمهم قال لهم: قد علمتم انه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم : ومثله قوله «وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا» الى قوله « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان (١) وهذه الآية أدخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

فصل

(م ١١٠) « ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره ، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون

(*) تتمة كلام القاضي عياض في الشفا (١) لعل الاصل: فكان كما قال.

سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم» وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به . قال تعالى « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » الآية ويدل على ان هذا شيء خص به أنه يعتري من لايفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى عن نصراني أنه مر بقاريء فوقف يبكي فقيل له : مم بكيت ؟ قال : للشجا والنظم : وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر. فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » الى قوله « المصيطرون » كادقلبي أنه يطير للاسلام : وفي رواية وذلك أول ماوقر الاسلام فى قلبي . وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيماجاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله « صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لايدري بما يراجعه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال : والله لقد كلمني بكلام والله ماسمعت أذناي بمثله قط فمادريت ماأقول له : وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ « وقيل ياأرض ابلعي ماءك » فرجع فمحا ماعمل وقال : أشهد ان هذا لايعارض وما هو من كلام البشر : وكان من أفصح أهل وقته . وكان يحيى بن حكم الغزال باليغ الاندلس فى زمنه فحكي أنه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها ، وينسج بزعمه على منوالها . (قال) فاعترته خشية ورقة ، حملته على التوبة والانابة ،

* * *

فصل

(م ١١١) « ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لاتعدم مابقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقال « لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » الآية . وسائر معجزات الانبياء قد انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها . والقرآن العزيز الباهرة آياته . الظاهرة معجزاته . على ما كان عليه اليوم مدة خمس مئة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة . ومعارضته ممتنعة . والاعصار كلها طافحة بأهل البيان . حملة علم اللسان . وأئمة البلاغة . وفرسان الكلام وجهابذة البراعة . والملحد فيهم كثير . والمعادي للشرع عتيد . فما منهم من أتى بشيء يؤثر فى معارضته . ولا الف كلمتين فى مناقضته . ولا قدح فيه على مطعن صحيح . ولا قدح المتكلف من ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح . بل المأثور عن كل من رام ذلك انقاؤه في العجز بيديه . والنكوص على عقبيه .

فصل

(م١١٢) « وقد عدّ جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لايمله . وسامعه لايمجه . بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة . وترديده يوجب له محبة . لايزال غضا طريا . وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد . ويعادى اذا أعيد . وكتابنا يستلذ به فى الخلوات . ويؤنس بتلاوته فى الازمات . وسواه من الكتب لايوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها . ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لايخلق على كثرة الرد . ولاتنقضي عبره . ولا تفنى عجائبه . هو الفصل . ليس بالهزل . ولا يشبع منه العلماء . ولا تزيغ به الاهواء . ولاتلتبس به الالسنة . هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا « إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد »

(م١١٣) « ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها . ولا القيام بها . ولا يحيط بها أحد من علماء الامم . ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم . فجمع فيه من بيان علم الشرائع . والتنبيه على طرق المجامع

www.alukah.net

لعقلية، والرد على فرق الامم ببراهين قوية، وأدلة بينة سهلة الالفاظ . موجزة المقاصد. رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها . كقوله تعالى « أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم »و« قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرة »و« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » — الى ماحواه من علوم السير ، وأنباء الامم ، والمواعظ والحكم . وأخبار الدار الآخرة . ومحاسن الآداب والشيم. قال الله جلّ اسمه « مافرطنا في الكتاب من شيء ، ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل » وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل القرآن آمراً وزاجراً وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأ كم وخبر ماكان قبلكم ، ونبأ مابعدكم . وحكم مابينكم . لايخلقه طول الرد . ولا تنقضي عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل . من قال به صدق . ومن حكم به عدل . ومن خاصم به فلج ، ومن قسم به أقسط . ومن عمل به أجر . ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله . ومن حكم بغيره قصمه الله . هو الذكر الحكيم . والنور المبين . والصراط المستقيم . وحبل الله المتين . والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه . لايعوّج فيقوّم ، ولا يزيغ فيستعتب . ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الردّ » ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه « ولا يختلف ولا يتشانأ (١) فيه نبأ الاولين والآخرين » وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، فيها ينابيع العلم ، وفهم الحكمة . وربيع القلوب . » وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول . ونور الحكمة . : وقال تعالى « إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » وقال «هذا بيان للناس وهدى» الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف مافي الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات .

(م١١٤) «ومنها جمعه فيه بين الدليل ومدلوله وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه

(١) المنار : تشانؤا تباغضوا ولا يظهر هنا والذي أعرفه في الرواية (يتشانّ) من تشان الجلد اذا يبس وتشنج أي انه يبقى على جدته وبهائه ورونقه دائما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده . فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة .

(م ١١٥) «ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس . وأوعى للقلوب . وأسمح في الآذان . وأحلى على الافهام . فالناس اليه أميل . والاهواء اليه أسرع .

(م١١٦) «ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلمية . وتقريبه على متحفظيه . قال الله تعالى «ولقد يسرنا القرآن للذكر » وسائر الأمم لايحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم . والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة (١)

(م١١٧) «ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعه وائتآم أقسامها . وحسن التخلص من قصة الى أخرى . والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه . وانقسام السورة الواحدة الى أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتقريد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله . والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته . ولانت جزالته . وقل رونقه . وتقلقلت ألفاظه . فتأمل أول (ص) وماجمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم . وتعجبهم مما أتى به . والخبر عن اجتماع ملأهم على الكفر . وماظهر من الحسد في كلامهم . وتعجيزهم وتوهينهم . ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة . وتكذيب الأمم قبلهم . وإهلاك الله لهم . ووعيد هؤلاء مثل مصابهم . وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم . وتسليته بكل ما تقدم ذكره . ثم أخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في أوجز كلام . وأحسن نظام . ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن الى وجوه كثيرة لم نذكرها إذ أكثرها داخل في باب بلاغته . فلا نحب أن يعد فناً منفرداً في إعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة . وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه . وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها ومابعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لاتنقضي والله ولي التوفيق » اهـ كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى

(١) الاعجاز في إلهام المسلمين حفظه حتى حفظ به الدين وهذا لم يعهد في العالمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(الشبهة الثانية على القرآن زعمهم التعارض فى كلامه)

استشهد ذلك الكاتب على سخافته هذه بأمور نأتي عليها واحدة واحدة ونبين الصواب كما فعلنا فى الشبهة الأولى

(الشاهد الاول) زعم ان وجود الآيات المتشابهات فيه ينافي كونه مبينا . وهذا دليل على انه لم يفهم معنى المتشابهات ولا معنى البيان . فهذا المسيح عليه السلام يزعم المتنقد أنه إله وقد كان الكثير من كلامه مع تلاميذه وهم الراسخون فى دينه غير مفهوم لهم فهل يرى هذا دليلا على عجز مقام الالوهية عن البيان . أم يستدل بالشيء في مكان ويترك الاستدلال به في مكان . ؟ ولم ينقل عن الراسخين من الصحابة شيء من الاشتباه فى القرآن كما ينقل النصارى عن تلاميذ المسيح (رضي الله عن الجميع) .

المتشابهات فى القرآن آيات تشابهت وجوه دلالتها على معانيها القريبة والبعيدة حتى ليتسنى لاصحاب الزيغ تأويلها بالباطل وصرفها الى غير الصواب . وهذا أمر لا مندوحة عنه لأنه ضروري في ذاته وذلك ان أهم ما يجيء به الوحي هو العلم بالله تعالى وبعالم الغيب لترتفع بذلك مدارك العقول وتعلو همم النفوس . ومن المعلوم أن الناس وضعوا ألفاظ اللغات لما يعرفون من المعاني فى هذا العالم فيتعين على من يريد أخبارهم بشيء مما لا يعرفون أن يستعير بعض ألفاظهم الموضوعة لما يعرفون وينصب القرائن لمنع الاشتباه . ولا شك أن أفهام الناس تختلف فى فهم القرائن وان الذي يريد الفتنة يسهل عليه ان يتبع ما تشابه من القول لأن له معنى يدل على ما وضع له فى الأصل ومعنى آخر تناوله بالكناية أو الاستعارة وغيرها من ضروب التجوز وهو المراد فيحمله على غير المراد ويضل به الناس . فاذا أطلق النبي على الله تعالى لفظ الأب فى مقام بيان الرحمة والعناية حمله أهل الزيغ على الأبوة الحقيقية وقالوا انه أبو الذي ولده ويصرفون من يفتنونهم عن القرائن العقلية التي تحيل الابوة الحقيقية على الله تعالى والقرائن القولية التي تطلق لفظ الأب على غير النبي كقول المسيح عليه السلام ان صح النقل عنه : « اني ذاهب الى أبي وأبيكم » : وكذلك يقال في لفظ الابن اذا أطلقه النبي على نفسه يحمله أهل الزيغ على البنوة الحقيقية مع قيام القرائن العقلية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واللفظية على إحالته كسابقه. ومن ذلك اطلاقه على صانعي السلام، فيما يقولونه عن المسيح عليه السلام،

واذا أراد المعترض ان يعرف الفرق بين بيان القرآن وبيان الانجيل وبين أتباعهما فلينظر الى أثر المتشابهات في الأمتين يجد ان قومه (النصارى) كلهم قد اتبعوا ماتشابه مما حفظوا من كتابهم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. وأن المسلمين قد اتبعوا المحكم وردّوا المتشابه اليه فجمعوا بين العقل والنقل الا فريقا منهم لايقام له وزن كالباطنية والمجسمة

(الشاهد الثاني) زعم ان قوله تعالى في سورة الاعراف «ان الله لا يأمر بالفحشاء» وقوله عز وجل في سورة الأنعام «ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون» يناقضان قوله جلّ شأنه «واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» قال: لانه أثبت فيها الامر بالفسق وهو أمر بالفحشاء، واهلاك أهل قرية لان مترفيهم فسقوا فيها كما أمروا ظلم:

لاأقول ان صاحب هذا القول سيئ الفهم الى هذه الدرجة ولكنني أرجح أنه متعمد للتحريف فان من له أدنى شمة من فهم اللغة والعقل لايستجيز ان يعمد الى قول سيد لعبده: إنني أمرت عبدي فخرج عن طاعتي فعاقبته: فيفسره بأنه أمره بالخروج عن طاعته فخرج فعاقبه على الامتثال. الفسوق في اللغة الخروج عن الشيء يقال فسقت الرطبة عن قشرها وفسقت الفأرة عن جحرها: والفسوق عن أمر الله هو الخروج عنه وعدم امتثاله. أما حذف معمول «أمرنا» فهو ماتقتضيه البلاغة هنا لأن المقام مقام بيان جزاء الفسوق عن أمر الله تعالى أيا كان لابيان ضروب التكليفات الشرعية. وما يأمر الله تعالى به معروف بالاجمال. ولا يخطر على بال عاقل أن يتدبّر أحد هذا المعمول بنقيض ماتقضي به الضرورة فيقول ان الله قال إنه أمر هؤلاء الناس ولم يقل بماذا أمرهم ونقول نحن انه أمرهم بالفسوق!! هذا غير معقول في نفسه ثم ان العبارة تنافيه بذاتها فان الفسوق يقتضي ان يكون هناك شيء يفسق عنه فاذا كان الامر متعلقا بالفسوق نفسه يكون أمراً بلا شيء. مثاله ان تقول لرجل: أمرتك بأن تخرج: ولم يكن في شيء يخرج عنه حين أمرته لاحسي كبيت ولا معنوي كعمل. فان قيل: ان الامر في الآية ينصرف الى الفسوق عما هم فيه مما يختص بهم في الجملة:

www.alukah.net

نقول ان ما كانوا فيه هو الترف فيكون معنى قوله في الآية « ففسقوا فيها » انهم خرجوا من الترف ورجعوا الى القصد . وهذا نقيض ما تدل عليه الآية بابداهة وهو ان الاستمرار على الترف بعد الأمر بما جرت عادة الله تعالى ان ينزل وحيه به من الأمر بالقصد والاعتدال، في الاخلاق والاعمال . هو الذي يكون سبب التدمير . وينتهي بالأمم الى شر مصير .

هذا الذي قلناه متبادر اذا تجلى لأي عامي في لغته يتيسر له ان يفهمه بلا توقف وليس هو من المتشابهات التي تبتغى بها الفتنة بالتأويل والتحريف . والآيات وراء هذا معان عالية ، وفيها معارف سامية ، هي أرفع من أن يدركها ذلك الطرف الحسير ، أو يتطاول اليها ذلك الفهم القصير ، ذلك ان آية الانعام وآية الاسراء تهديان الى أنفع سنن الله في نظام نوع الانسان ونواميس الاجتماع البشري ـ تدل آية الانعام على أن الأمم لا تهلك بمجرد التلبس بظلم تكون عليه مادام أهلها غافلين عما يجب عليهم الاخذ به من ضده لا ينذرهم به منذر ولا يدعوهم الى الحق داع . فاذا جاء النذير وقذف بحقه على باطلهم وبعدله على ظلمهم يدمغه فاذا هو زاهق واذا بالامة في عداد الهالكين . وفي آية أخرى « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » والمراد بالشرك الظلم كما روي من حديث ابن مسعود مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم والترمذي في تفسير قوله تعالى في سورة الانعام « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » يعني ان الأمم لا تهلك وان كانت مشركة بالله تعالى مادامت مصلحة في أعمالها وأحكامها . ويطابق هذا قوله تعالى « واذا أردنا ان نهلك قرية » الآية . فهذه الآيات تعلمنا ان سعادة الأمم وشقاءها في هذه الحياة انما هو نتيجة سيرتها في أعمالها لا ان السعادة هبة إلهية على ما لا يعلم سره . والشقاوة نقمة إلهية على ما جهل أمره . وتعلمنا أيضاً ان الباطل انما يطول أمده وتبطئ نتيجته في الإهلاك اذا لم يكن هنالك حق يصادمه . ومن هنا أخذ الاستاذ الامام كلمته الحكيمة : إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه : ومن هنا نفهم السر في استيلاء الافرنج على الأمم الشرقية وهو أنهم مصلحون في أعمالهم . وقد أوضحنا هذه المسائل من قبل في مقالات متعددة وحسبنا هذا في الرد على شبهة المحرفين

(الشاهد الثالث) زعم ان قوله تعالى في فرعون « فأغرقناه ومن معه جميعاً »

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يناقض قوله عز وجل فيه «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» وقد شنع هنا على المسلمين أنهم أولوا الآية وهو يزعم أنه نجا ببدنه وروحه وإن كانت الآية ناطقة بأن بدنه هو الذي ينجو. ومحل الشبهة عنده في لفظ «ننجيك» فان ظهور الجثة بعد الموت بالغرق لا يسمى تنجية وفاته أن هذا التعبير للتهكم على حد «فبشرهم بعذاب أليم» ومن تتبع ضروب التجوز في كلام البلغاء وحاول حملها على الحقيقة — وهي لا تصح عليها — يمكنه ان يموه بأن أكثر الكلام البليغ كذب. على أن الذي ينجو من الغرق يطلق عليه اسم الغريق فلو فرضنا أن الله تعالى نجى فرعون من الغرق الذي ألم به وبقومه لما كان قوله «أغرقناه» مناقضاً لقوله «ننجيك» فقد يغرق إنسان إنسانا ويريه خطر الهلاك ثم ينتاشه وينجيه ولكن هذا ليس مراداً هنا

الحكمة في ظهور بدن فرعون موسى بعد الغرق ظاهرة فانه استعبد الناس وادعى الالوهية بما موه على الجاهلين بسحره. ولو لم يظهر بدنه لادعى المغرورون فيه ما يدعي عبدة الحاكم العبيدي الى اليوم من أنه قد عرج الى عالم أعلى. وارتقى الى مقام أسمى. فهذا هو معنى قوله تعالى «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» ولو نجا بروحه وبدنه لما كان في ذلك آية على انتقام الله منه بكفره بنبيه وإيذائه لقومه (للكلام بقية)

الكرامات والخوارق

(المقالة الثالثة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التأويل)

(النوع الثالث انفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء)

قال السبكي: وكل ذلك كثير وقد اتفق مثله لشيخ الاسلام وسيد المتأخرين تقي الدين بن دقيق العيد. وأتول ياليت لنا من هذا الكثير الذي يدعيه واقعة واحدة منقولة بالتواتر الصحيح المستوفي الشروط التي يذكرها السبكي في جمع الجوامع الذي ألفه لكد الافهام، لانتزاع أحكامه في مثل هذا المقام. وفي خاتمة الفتاوى لابن حجر الهيتمي قال: في الرسالة عن بعضهم كنا في مركب فمات رجل منا فأخذنا في جهازه فلما أردنا ان نلقيه في البحر جف فحفرنا له قبراً ودفناه فارتفع الماء والمركب وسرنا

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكل ما في الباب حكايات عن مثل هذا البعض المجهول وأصحاب المركب المجهولين. ولو حكمنا فيها أصول المسلمين لعددناها من الموضوعات أو الواهيات ، وان رويت على انها من المعجزات ، لانقطاع أسانيدها ، وجهالة رواتها ، وأضف الى ذلك هنا شبهة الهوى ، ومخالفة شروطهم في الكرامة ، فقد علمت ما قاله السبكي من اشتراط الضرورة والخفاء وأين هما مما نحن فيه . نعم ان قبول هذه الحكايات يليق بأهل دين لاسند لهم في أصوله ولا في فروعه وانما هي الثقة العمياء بأن روح القدس حل في رؤسائهم وقديسيهم فعملوا العجائب ووجب قبول كل مايؤثر عنهم وان تناقضت قضاياه ، واستحال مغزاه .

إذا ثبت انفلاق البحر ثبوتا قطعيا فلا شك انه يكون من الخوارق التي يتعذر تأويلها وتعليلها. وأما المشي على الماء فيحتمل التلبيس والتأويل بحسب الاشخاص والمواقع والازمنة ففي بعض البلاد يجمد ماء النهر لشدة البرد مدة ثم يسيل ويقال ان الافرنج اخترعوا أحذية يمشون بها على الماء . بل الذي يعوّل عليه حقيقة في تعليل المشي على الماء اذا فرضنا انه ثبت ثبوتا قطعيا لايحتمل التأويل هو غلبة الروحانية التي يخف معها الجسد خفة عجيبة على نحو مايحكونه عن المشتغلين باستحضار الأرواح في أوربا فان لهم في ذلك حكايات تقرب من بعض حكايات الصوفية. على ان هؤلاء انما يوجهون نفوسهم الى الارواح يكلمونها ويرونها ولم يعنوا بأن يكونوا هم روحانيين كما يفعل الصوفية في رياضاتهم . نعم ان من الناس من لايصدق ماينقل عن هؤلاء وعن أولئك ومن الناس من يصدق لأن تشابه الحوادث وتصور العلة العامة لها يقربها من العقل . وما نبغي إثبات مايُنقل ولا نفيه وانما نبغي إقناع من يصدق ثقته بالناقلين. أو من يشاهد شيئاً من أعمال الحاضرين. بأن ذلك غير خارج عن سنن الله تعالى في الخلق وأنه ليس من الخوارق الحقيقية وانما هو من الخوارق الاضافية أي التي تعد خوارق بالاضافة الى من لايعرف طريقها كالاعمال الصناعية التي لايعرفها الا بعض الناس . أرأيت اذا تعلم بعض الناس التخاطب (بتلغراف ماركوني) الذي يكون التخاطب به بدون واسطة الاسلاك وذهبوا الى بلد أو مملكة وجعلوا يتخاطبون به على البعد الشاسع ألا يعد ذلك الناس منهم أكبر الخوارق ؟

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

وقد ذكروا ان الواسطة الذي يحضر الروح يخف وزنه مدة حضور الروح الى نصف ما كان ومن كان بهذه الحفة يمشي على الماء بسهولة . وسيأتي ان بعضهم كان يطير في الهواء ونقل مثل هذا أيضاً عن بعض الفلاسفة . وسنوسع القول في الامور الروحية في موضع آخر

﴿ النوع الرابع انقلاب الاعيان ﴾

قال السبكي : حكي ان الشيخ عيسى الهتار اليمني أرسل اليه شخص مستهزئاً إناءين ممتلئين خمرا فصب أحدهما في الآخر وقال « بسم الله كلوا » فاذا هو سمن لم ير مثل لونه وريحه (قال) وقد أكثروا في ذكر نظير هذه الحكايات :

أقول لا يوجد نوع من الانواع يأتي فيه التلبيس والشعوذة مثل هذا النوع ولذلك ترى أكثر أعمال المشعوذين منه وهو على ضربين أحدهما الخفة والمهارة في إخفاء شيء وإحضار غيره . وثانيهما الاستعانة بالاعمال الكيماوية . فمن غرائبهم في الضرب الأول أن أحدهم يأخذ ماء من البحر في كوب ويعطيه آخر فيشربه فاذا هو شراب سكري . والحيلة فيه ان يكون تحت إبط المشعوذ أو الدجال (مدعي الولاية) إناء من الجلد أو الكاوتشك له أنبوبة دقيقة تصل الى يده فاذا غمس الكوب في البحر يوهم الرائي انه ملأه ماء وما ملأه ويفرغ فيه الشراب من الأنبوبة بلطف . وقد أخبرني بعض الناس أن رجلا من المعتقدين تناول كوباً من زيت البترول وسقاه فاذا هو ماء فيه سخونة وما جاءت السخونة الا من حرارة إبطه حيث كان الماء

ومن الضرب الثاني ان بعض الدجاجلة الفساق الذين يخدعون الناس باتحال الكرامات أخذ أمام بعض العامة كوبا زجاجيا فيه شيء من الخمر فوضعه على فيه فاذا هو في أعينهم لبن أبيض . والحيلة فيه ان الخمر التي كانت فيه هي من النوع الذي يسمونه (عرقي الزبيب) ولونها كالماء حتى اذا مزجت بالماء ابيضت وصار لونها كلون اللبن الممزوج وقد كان الماء في فم الدجال فمجه في الكأس بلطف . ولو أردنا ان نملأ المنار بمثل هذه الوقائع التي تستغرب قبل كشف الستار عن وجه التلبيس فيها لفعلنا . فنقل أمثالها اذا صح سنده فهناك ما يمنع من التصديق بمتنه لاحتمال دخول الغش والتلبيس فيه على الناقلين . وأنت ترى ان هذا النوع كان من أبواب الفسق والدجل . والشعوذة والحيل ،

www.alukah.net إعداد من شبكة الألوكة

﴿ النوع الخامس إنزواء الارض أوطيها ﴾

قال السبكي : حكوا ان بعض الاولياء كان في جامع طرسوس فاشتاق الى زيارة الحرم فأدخل رأسه فى جيبه ثم أخرجه وهو فى الحرم (قال) والقدر المشترك من الحكايات فى هذا النوع بالغ مبلغ التواتر ولا ينكره الامباهت:

أقول ان السبكي تحمس هنا فرجع الى كتابه (جمع الجوامع) وقلد حجته فى الاستدلال فزعما ان الحكايات فى انزواء الارض متواترة تواترا معنويا أي ان كثرتها تدل على أن لها أصلا وان كانت كل حكاية منها لم تثبت بخصوصها وستعلم مافيه . واعلم أنهم لايقصدون بانزواء الارض وطيها ان أطرافها تجتمع وتطوى كالثوب وانما يعنون بذلك قطع المسافة فى زمن قصير وهو مجاز صحيح واستعمله الشعراء وغيرهم قال :

وكنت اذا ماجئت ليلى أزورها أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

وما ذكره السبكي من حكاية ولي جامع طرسوس ليس من هذا النوع وانما تلك زيارة خيالية أو روحانية لانه لم يكن فيها مسير وانما قبع ذلك الولي فى مكانه كالمنفذ فرأى نفسه في الحرم . كما يرى ذلك في الحلم . فاذا كان مثل صاحب جمع الجوامع قد اشتبه عليه الامر فعد فى هذا النوع ماليس منه فكيف تثق بسائر الناقلين لهذه الحكايات وهم فى العادة الغالبة من جهلة العوام . واذا لم تكن الوقائع صحيحة بالمرة فكيف يتألف من غير الصحيح دليل صحيح فتقول ان فى مجموع الحكايات تواترا معنويا؟

ثم إن فى أنباء قطع المسافات البعيدة فى الزمن القريب مواضع للتلبيس والإيهام فان الحكايات فى ذلك تؤثر عن السائحين المتجردين وأكثر هؤلاء خفاف سراع أهون سيرهم الوجيف فاذا مر أحدهم بمكان ثم رؤي فى مكان آخر لايكفي الزمن لبلوغه إياه فى السير المعتاد يتناقل الناس هذا ويعدونه كرامة ويبالغون فيه ويغلون وينتشر الخبر لغرام الناس بنقل مثله . وعلى هذا النحو تكثر هذه الاخبار حتى يدعي مثل انتاج السبكي أنها كرامة متواترة تواتراً معنويا . ويدعي من لايفهم مثله معنى التواتر أنها متواترة تواترا حقيقيا . وينسى هؤلاء أنه يوجد فى البوادي من يسابق عتاق الخيل وعشار النياق فيسبقها . والناس يعلمون ان هذا النوع من المحاول التي هدمت الدين فان

إهداء من مكتبة الألوكة www.alukah.net

كثيراً من الدجالين الذين يدعون الولاية يتركون الصلاة ويزعمون أنهم لا يصلون الا في حرم مكة فيصدقهم الجاهلون المخدوعون

هـذه إشارة الى طريق التأويل والتلبيس التي تقل معها الثقة بالنقـل . وأما التعليل بعـد الاختبار الصحيح والثقة التامة بأن انسانا انتقل بجسمه من قطر الى آخر في زمن قصـير لا يكفي لبلوغه إياه وان كان أسرع من العتاق السبق ، والجياد القرّح . فهو ان يقال ان ذلك المنتقل من الروحانيين الذين تحمل أرواحهم أبدانهم فتمر بها مر النسـيم وذلك داخل في السنن الروحية. وربما تكون في يوم من الأيام مشهورة جليـة . فيعذر من كان في غير هذه الاوقات . ينظمها في سمط الخوارق والكرامات ، ويظهر فضـل الدين ان علم الناس بأن الروح والنفس . لهـا وجود مستقل وسنن غير سنن الحس .

﴿ الأنجيل الصحيح ﴾

(النبذة الثالثة من مقدمة كتاب الأناجيل للفيلسوف تولستوي)

على هذا المنوال جرت تلك الديانات الصادرة عن الروح القدس وكل واحدة منها تؤكد لنا ان ختام الوحي ونسخ الديانات السابقة بطريقة حاسمة قاطعة مما تقضي بهما كتابة الرسول بولس أو قرارات بعض المجامع أو أوامر البابوات أو الإلهـام الشخصي لبعض الناس وكنها تحاول بلا طائل الاستناد في آخر الأمر على الوحي الهابط على آباء الكنيسة أو على (الكاتشزم) الذي ألفه لوثير أو فيلارتيوس وتأبى أن تعنون نحلتها باسم أولئك المشيدين لدعائمها وتعاند في القول بان المسيح هو الذي أوحى اليهم بهذه التعاليم وتصرّ على ذلك اصراراً لو صدقناها فيه لذهبنا معها الى ان المسيح نفسه هو الذي أوحى الى أصحابها بانه افتدى بني الانسان بعد سقوطهم بسبب خطيئة آدم وان الله يتألف من ثلاثة أشخاص وان الروح القـدس هبط على الحواريين وان المسح باليد (في تناول الاسرار) نقله الى القسيسين وان تقديس الارواح سبع مرات مما لابد منه للحياة المسيحية وغير ذلك . وهم يحملوننا على الظن بان هذه الامور كلها من تعاليم المسيح . على اننا اذا تحرينا تعاليم المسيح لا نجد فيها أقل إشارة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اليها ولا الى بعضها . لاجرم ان الكنائس التي تقول بهذه الاشياء ينبغي لها ان تجهر بانها من تعاليم الروح القدس وليست من تعليم المسيح فانما المسيحيون هم الذين يعتبرون الوحي الأخير الذي جاء به المسيح كما هو وارد فى الاناجيل طبقا لما قاله المسيح: لن يكون لكم أستاذ غيري(١)

ربما ظن بعض الناس ان هذه المسألة ليست بذات بال وانها من الامور التي لا تستحق البحث فيها ولكن مما لامراء فيه ان القوم قد أهملوا النظر اليها بعين الاعتبار الى يومنا هذا. وبدلا من بذل نهاية المجهود فى تنقية تعليم المسيح من شوائب علاقته الصناعية بالعهد القديم التي لا ترى مايزكيها ويؤيدها، وتصفيته من تلك الاضافات التي ألصقتها به الاهواء باسم الروح القدس، لايزال القوم حتى يومنا هذا يوجهون همتهم كلها الى تقوية هذه الروابط التي لا أصل لها . ومن غرائب المشاهدات أننا نرى الاتفاق سائداً في هذه المسألة بين الخصمين المتعاندين وأعني بهما المتحزبين للكنائس وأرباب الافكار الحرة من أصحاب التاريخ

فاما أحزاب الكنائس الذين يقولون بان المسيح هو ثاني شخص فى الثالوث فلا يريدون ان يفهموا تعليمه الا تطبيقه على الوحي الموضوع على لسان ثالث الثلاثة (أي الروح القدس الذي نطق بلسان الرؤساء) كما هو وارد بالعهد القديم وفى أوامر المجامع وقرارات آباء الكنيسة . وتراهم ينادون ويبشرون بأمور هي منتهى الحماقة ويؤكدون مع ذلك بأنها من دين المسيح . وأما الآخرون أي اولئك الذين يمتنعون من اعتبار المسيح إلها فهم أيضاً يدركون عقيدته لا كما أتى هو نفسه بها ولكن على الوجه الذي صورها فيه بولس وغيره من المفسرين. فاولئك العلماء مع اعتبارهم المسيح فردا من أفراد البشر لا إلهاً يحرمونه من الحق الطبيعي الذي لكل واحد من الناس ألا وهو أن يكون مسؤلا عن أقواله فقط وغير مؤاخذ بما يقوله عنه غيره . وحينما حاولوا إيضاح تعليم المسيح نسبوا اليه أفكارا لم تخطر قط على باله وهو فى قيد

المنار : الخطاب خاص بتلاميذه الذين تنقل الكنائس عنهم ان تلقوا تعليما آخر من الروح القدس ولهم ان يردوا على الفيلسوف بأن الروح القدس ليس غيره لانه على اصطلاحهم عينه لأن كل واحد من الاقانيم الثلاثة عين الآخرين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحياة . فان القائمين بهذا المذهب وفي مقدمتهم رنان المحبوب عند الجمهور لم يروا وجها لإجهاد أنفسهم فى التميز بين ماقال به المسيح وبين مانسبه اليه مفسرو كلامه زورا وبهتانا ولعدم زيادتهم على الكنائس فى الاهتمام بالتعمق فى فهم تعليم المسيح الصحيح انساقوا الى البحث في حوادث حياته وفي الحوادث التاريخية التي وقعت فى عصره لمعرفة أسباب نفوذه وشيوع أفكاره

على ان هذا المبحث هو كما يظهر آخر خطأ يجوز للمؤرخين ارتكابه فان المسألة التي كان عليهم السعي فى حلها هي ما يأتي :

منذ ثماني عشرة مئة من السنين كان رجل فقير يعيش فى بعض الجهات وكان يصدر عنه بعض الاقوال فاضطهده الناس وشنقوه ثم نسيه العالم كله كما نسي آلافاً من الحوادث المماثلة لأمره فلم يذكره أحد من العالمين ولكن يظهر ان بعضهم بقيت في ذاكرته كلمات هذا الانسان فاعادها على مسمع من ثان فثالث ومازالت آخذة في الشيوع والانتشار حتى ان ألوف الألوف من الناس سواء فيهم العقلاء والمجانين والعالمون والجاهلون اعتقدوا اعتقادا مطلقا بأنه هو الله وحده (١) وهذا من غرائب مظاهر الكون فكيف يكون تفسير ذلك ؟

قالت الكنائس ان هذا الرجل أي المسيح هو الله حقيقة والامر واضح فى هذه الحال لايحتاج الى بيان . ولكنه اذا لم يكن هذا الانسان هو الله فكيف نفسر اعتبار الناس له إلها دون سواه ؟

أما علماء المذاهب التاريخية فقد عنوا عناية بالغة بجمع الخصائص المتعلقة بحياة ذلك الانسان (وهم في الحقيقة لم يجمعوا منها ولا واحدة سوى ماوجدوه في

---

(١) المنار : ان الناس لم يقولوا هو الله لاجل الكلمات التي ينقلونها عنه فقد نقل أحسن منها عن سليمان ولم يقولوا إنه إله ومنهم من لم يقل إنه نبي . وإنما ذلك بولس وأمثاله قالوا هذا القول وادعوا ان روح القدس يملي عليهم والخوارق تؤيدهم فصدقهم الناس لاستحواذ الوثنية عليهم وشاع ذلك . والفيلسوف ينكر عليهم إملاء روح القدس ويجحد خوارقهم ولكن إعجابه بكلمات المسيح عليه السلام ، أنسته أكبر سيئاتهم فوقع فى الاوهام .

www.alukah.net إحدى شبكات الألوكة

الاناجيل وفى تاريخ (فلافيوس يوسيفوس) ولم يتفطنوا الى انهم لو توصلوا الى الوقوف على هذه الخصائص كلها ؛ ووقفوا الى اعادة حياة المسيح تامة باصغر تفاصيلها بحيث عرفوا ماأكله في يوم كذا ويوم كذا وعرفوا في أي منزل أمضى تلك الليله — لكان هذا السؤال الجوهري يبقي قائما ولا جواب عليه وهو : لماذا كان لعيسى لالغيره هذا التأثير في الناس أجمعين ؟ (١) الجواب المطلوب لايأتي من العلم بالطريقة التي ولد بها عيسى أو كانت تربيته على مقتضاها أو غير ذلك ولا يستنبط من العلم بالحوادث التي وقعت في رومية فى ذلك العصر وكانت داعية الامم الى الاعتقاد بالخرافات والاضاليل ونحو ذلك . وانما ينال الجواب بالبحث في أمر واحد وهو معرفة التعليم الذي جاء به المسيح علما مؤكدا يقينيا ومعرفة كنه هذا التعليم الذي حمل كثيراً من الناس على جعل الرجل فوق سائر الناس واعتباره إلها منذ ثماني عشرة مئة من الاعوام

الباحث الذي يريد حل هذه المعضلة يجب عليه قبل كل شئ ان يجتهد في إدراك تعليم المسيح وأعني به تعليمه الصحيح دون تلك التفاسير الغامضة الشاذة التي ذهب اليها بعض الناس . وهو أمر أهمله الباحثون الى الآن . فان علماء التاريخ من أهل النصرانية فرحون بما ذهبوا اليه من أن المسيح ليس هو الله ولذلك تراهم لاينفكون يسردون الدلائل على انه لم يكن فيه شئ من الالوهية ولكن لايتفكرون فى أمر بسيط لايصح ان يغيب عن الاذهان . وهو ان الاحتجاج على كون المسيح واحدا من الناس مجردا من كل صفات الالوهية يزيد المسألة غموضا وبعدا عن الافهام.(٢)

مثال ذلك صاحبنا رنان أو الموسيو (هافيت) فقد لاحظ بسذاجة لطيفة ان المسيح

---

(١) المنار : إنه لم يكن للمسيح تأثير فى الناس أجمعين كما زعم وان المعتقدين بوذا أكثر من المعتقدين بالمسيح على الوجه المعروف عند النصارى

(٢) قضى الله ان تكون السخافة حليفة لكل من يتكلم فى الدين من غير طريق الاسلام . وان ارتقى بعلمه الى درجة الفلاسفة العظام . فهذه المسألة محلولة بمثل قوله تعالى «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي» فالمسيح بشر كسائر الناس الا أنه امتاز بأن الله تعالى أوحى اليه . والوحي لايرتقي بالموحى اليه الى مقام الالوهية ولا يعطيه شعبة منها على أنها ليست متشعبة بل هي الوحدة الحقيقية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لم يكن فيه قط شيء (مسيحي) أما الموسيو سوري فقد أظهر ماليس فوقه شيء من الابتهاج والارتياح حينما ذهب الى أن المسيح « كان رجلا بغير تثقيف وانه كان من ذوي العقول الساذجة »

ليس الأمر الجوهري هو إثبات عدم ألوهية المسيح ولا ان تعليمه ليس إلهيا ولا إيراد الدلائل على ان المسيح لم يكن كاثوليكيا وانما هو فهم عناصر هذا التعليم الذي ظهر للناس فى أسنى المظاهر وأجلاها وأعلاها وأغلاها حتى قالوا ولا يزالون يقولون بان الرجل الذي قال به إنما هو الله . هذا هو الامر الذي حاولت البحث فيه والذي نجحت فى الوصول اليه والوقوف عليه وذلك بالنسبة الى شخصي على الاقل . وهو ما أريد ابلاغه إلى إخوتي

يخيل الي ان القارئ لهذا الكتاب انما هو فرد من ذلك المجتمع العظيم الذي يتألف منه فريق المتمدنين الذين تهذبوا ودرجوا على الاعتقاد بقول احدى الكنائس ومنعوا أنفسهم على الدوام من الجهر بالانفصال عنها مع مثابت لهم من مناقضة تلك العقائد لما أرشدتهم اليه عقولهم . وأوحت به ضمائرهم . سواء كان ذلك مبنيا على صبابة باقية من الحب والاحترام لذلك التعليم المسيحي أو لاعتبارهم النصرانية كلها خرافة فهم لا يرتبطون بها الا فى الظاهر . اذا كانت هذه حالة القارئ فاني أرجو ان يعمل بالمثل السائر « ألق بالخلعة فى النار اذ صارت مبادة للعمل » ولكنني أرجوه من باب أولى ان يتفكر ان الذي نفر منه طبعه وسمعه وظهر له بمظهر الخرافات ليس هو التعليم الصادر عن المسيح وانه من الظلم مؤاخذة المسيح بالخرافات التي علقها الناس بعده على تعليمه . وغرضي الوحيد انما هو تحديد تعليم المسيح فى شكله الخاص به كما وصل الينا أي بواسطة الاقوال والافعال التي بلغنا بطريق التواتر انها أقوال المسيح وأفعاله (١) . ومن كان من القراء من الصنف الذي سبق لي وصفه فان

« ١ » المنار: ان أقوال الفيلسوف السابقة فى هذه المقدمة تنفي هذا التواتر فانه قال ان أقوال المسيح لم تنقل فى عهده برمتها بالكتابة ولا بالحفظ وانما كان يحفظ بعضها الواحد فيلقيه الى اثنين ثم يشتهر بعد زمن . وإنما يتحقق التواتر بنقل العدد الكثير عن المسيح نفسه ونقل مثلهم عنهم طبقة بعد طبقة بلا انقطاع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتابي يريه ان النصرانية ليست مزيجا من الامور العالية والامور المبتذلة وانها ليست من الخرافات بل انها عبارة عن التعليم بما وراء الطبيعة الذي توصلت اليه الانسانية الى الآن بطريقة أخلاقية تهذيبية وطيدة الاركان ، ثابتة البنيان ، صافية من الشوائب ، مكملة من كل جانب ، وانها التعليم الذي ترتكز عليه بغير ادراك جميع مظاهر الانسانية العالية في السياسة والعلم والشعر والفلسفة

أما اذا كان القارئ من تلك الفرقة القليلة التي لا تزال في كل يوم آخذة في الاضمحلال وأعني بها أولئك المتمدنين الذين مالبثوا مرتبطين بتعاليم الكنيسة ويقبلون الدين لراحتهم الداخلية لا لغرض خارجي فاني أرجو هذا القارئ ان يسائل نفسه عن أعز الامرين لديه : أراحته أم الحقيقة . فان اختار الراحة سألته ان يتنزل هذا الكتاب وأما اذا جنح الى الحقيقة فاني أسأله ان يعتبر تعليم المسيح المبسوط في هذا الكتاب يناقض كل ما علمه اياه النـاس وانه بإزاء هذا التعليم في موقف المسلم بازاء النصرانية . فليس عليه بعد ذلك ان تكون العقيدة المشروحة في هذا الكتاب توافق عقيدته أو تخالفها بل ان يعلم أيهما أكثر انطباقا على عقله وقلبه . أعقيدة كنيسته أم عقيدة المسيح المحضة ؟ وعليه بعد ذلك ان يختار لنفسه أحد الامرين ـ الرضى بقبول العقيدة الجديدة أو البقاء على عقيدة كنيسته

وأما اذا كان القارئ من أولئك الذين يذهبون الى احترام عقيدة إحدى الكنائس والتسليم بها في الظاهر لا لصحة هذه العقيدة ولكن بالنظر الى اعتبار المنافع التي يجدونها فيها فهذا القارئ يجب عليه ان يقول لنفسه بانه ليس من المتهمين « بكسر الهاء » بل من المتهمين « بفتحها » مهما كان عدد الذين يماثلونه في الرأي ومهما كانت سطوتهم ومهما كانت تيجان الملوك معهم ، وشهادات الاكابر منهم مصدقة لما بين أيديهم ؛ وليس يكون ذلك القارئ من الذي تقع عليهم التهمة أمامي بل أمام المسيح . وينبغي لهذا القارئ ان يقول لنفسه انه لن يطالب « بفتح اللام » بأي برهان مما يمكنه الاتيان به من الدلائل فقد جاء بها السابقون عليه بزمان طويل وانه لو اتى بألف حجة على براءته لما كان الا في موقف يضطره إلى تزكية نفسه

نعم انه يبقى عليه ان يزكي نفسه أولا من وصمة الكفر والتدنيس اللذين ارتكبهم

إهداء شبكة الألوكة www.alukah.net

بجعل عقيدة المسيح الذي هو الله (تعالى الله عن هذا الزعم) كعقيدة اسدراس والجامع وثاوفيلكتس وافراغه كل قواه العقلية لتبديل كلمات الله حتى يجعلها موافقة لكلمات البشر. ثم يجب عليه أن يزكي نفسه ثانيا من «التجديف» الذي ارتكبه بحمل كل مافي قلبه من الخرافات على « حساب » المسيح الذي هو الله (سبحان الله) . ثم يبقى عليه في آخر الامر أن يزكي نفسه أيضا من الخيانة التي ارتكبها بإخفائه عن الناس دين الله الذي جاء الى الدنيا ليأتي لنا بالخلاص والسلام : وبدسه دين الروح القدس بدل هذا الدين وحرمانه ألوف الالوف من الناس من الخلاص الذي جاء به المسيح لأجل الناس وبايجاده الخلاف فى الشيع والمقالات وبحكم بعضها على بعض وغير ذلك من ألوف الشناعات التي يسترها بالاسم المقدس اسم المسيح

لذلك أقول ليس للقراء الذين من هذا الفريق الا ان يختاروا احد أمرين — إما ان يتوبوا بخضوع وخنوع توبة نصوحا ويرجعوا عن أكاذيبهم . وإما ان يضطهدوا ذلك الذي جاء ليلقي عليهم التهمة بما كسبوه من السيئات التي لا يزالون سبباً في وقوعها اذا لم يعدلوا عن أكاذيبهم فليس لهم سوى أمر واحد هو اضطهادي أنا وهذا هو ما أنتظره بنشر كتابي هذا . وأنني لأنتظر بفرح عظيم لا يخالجه سوى مكنون الخوف من ضعفي لأنني فرد من بني الانسان . اهـ

(المنار) لقد أظهرت لنا هذه المقدمة قوة كاتبها فى أعلى درجها كما أظهرت لنا ضعفه فى أسفل دركه . أما قوته فهي انه أدرك بذهنه الوقاد ، وعقله المطلق من أسر التقليد والاستعباد . أن إنجيل المسيح لم ينقل نقلا صحيحا ولم يحفظ كله وأن الاهواء تلاعبت أيضاً بتفسير ما نقل فأفسدت ما بقي فيه من دماء الاصلاح والحق وأن أشد الناس عيثا فى تعليم المسيح بولس زعيم النصرانية — الخ ماقرأت فى المقدمة

وأما ضعفه فهو أنه نظر فى سن الكبر وطور الزهد واليأس الى تلك المواعظ التي قارع بها المسيح مترفي اليهود ومتسطيهم وتأمل فى غلو النصارى في المسيح وادعاء الألوهية له بإغراء بولس ومن دخل فيه من الوثنيين فرأى فى المواعظ قوة الهية (وهي قوة الوحي) ورأى الناس فتنوا بالمسيح فاستدل بذلك على أنه هو الله «تعالى الله عن ذلك» هذا وقد وقع فى س ٨ ص ٢٢٩ لفظ الفارسيانيين وصوابه «الفريسيين» وفى س ٢١ ص ٢٢٩ جملة «لا يلزم (كما يظهر) على تعليق» وصوابها « لا يلزمه (كما يظهر) تعليق»

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(س ١) صخرة بيت المقدس ـ السيد احمد منصور الباز بطوخ القراموص:
مارأي سيادتكم فى الصخرة الموجودة ببيت المقدس هل هي مرفوعة في الهواء كما يزعم بعضهم وهل رفعها كان معجزة للنبي ؟ نرجوكم إظهار الحقيقة ورفع اللبس

(ج) اننا قد زرنا المسجد الاقصى ورأينا الصخرة وعرفنا منشأ الشبهة في أقاويل الناس فيها على انها ليست مرفوعة فى الهواء . ذلك ان الداخل في الحرم يرى في صحنه الفسيح بناء مرتفعا يصعد اليه بالسلالم وسطح هذا البناء الواسع مرصوف بالبلاط وفيه قباب أعظمها وأكبرها وأكثرها زخرفا قبة الصخرة وبالقرب منها قبة يسمونها قبة المعراج يقولون ان النبي صلى تعالى عليه وآله وسلم عرج منها . والصخرة موضوعة فى قبتها وقد جعلت سقفا لمغارة صناعية تحتها لها باب ينزل اليه بسلم قصير . فهم يقولون ان الصخرة كانت فى الهواء حيث هي الآن وان الناس بنوا تحتها هذا البناء ووصلوه بها . وشبهتهم ان الصخرة مرتفعة عن أرض الحرم التي هي الآن سطح الحرم الاصلي الذي تحت الارض . وفاتهم أن رفع الصخرة من أرض الحرم الذي في الارض أو سطحه الذي هو صحن المسجد لهذا العهد متيسر للانسان ويوجد له نظائر فى مباني الغابرين والحاضرين

« س٢» حجارة الوقود بجوار الكليم ـ ومنه: هل فى الحجارة التي بجوار سيدنا موسى معجزة له اذ تكون وقودا فى تلك الارض واذا نقلت منها تكون كسائر الحجارة لا تشتعل؟

« ج » انه لا يوجد في الدنيا حجارة تشتعل فتكون وقودا الا بسبب طبيعي ولا معنى لهذه المعجزة الآن والناس متهمون جميعا بنقل الغرائب فيجب التحري اتم فيما ينقلون منها فمن تحرى علم ومن لم يتحر وهم،

(س٣) شمهورش قاضي الجن ـ السيد حسن السبلجي بمصر : يزعمون أنه كان للجن قاض يقال له شمهورش وأنه كان يتلقى العلوم بالأزهر وكان يحضر دروس لشيخ الباجوري ويسأله عن بعض المسائل التي تشكل عليه على مرأى من الناس ومسمع . وقد حضرت مناظرة في ذلك بين فريقين منكر ومصدق فأبى المصدق ان يرجع الا بفتوى دينية وهي ماننتظره من المنار الانور :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« ج » ان الجن من العوالم الغيبية واسمهم يدل على خفائهم واستتارهم وقد قال الله في ابليس وهو من الجن : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » وقد نقل عن الامام الشافعي تشديد عظيم على من يدعي رؤيتهم حتى قيل انه أفتى بكفره هذه الآية . وقد اختلف النقل عن الصحابة في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم فروي عن ابن مسعود انه رآهم وروي عن ابن عباس أنه لم يرهم وأنه لو رآهم لما قال الله تعالى « قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن » وقال بعض العلماء ان ابن عباس قال بما يدل عليه القرآن وابن مسعود قال بما ثبت عنده ولا منافاة بينهما . وأدعى بعضهم ان رؤيتهم تكون كرامة للأولياء وسيأتي البحث فيه في موضعه من مقالات الخوارق والكرامات ولكن لم يقل أحد من المسلمين ولا من غيرهم ان الجن يظهرون ويسألون العلماء على مرأى من الناس ومسمع . وان للناس من الحكايات عن الجن في كل قطر وكل شعب مايكاد يصل بهم الى حد الجنون . والله يعلم انهم لكاذبون

(س ٥) الدليل على وجود الجن ـ بكير بن سماية بالجزائر : هل يوجد دليل عقلي على وجود الجن ؟

(ج) ان وجود أي شيء من الموجودات لا يعرف بالأدلة العقلية وإنما يعرف بالحس أو بالخبر الصادق فاننا نعتقد بوجود كثير من الحيوانات والنباتات والمعادن ولم نرها . أما العقل فانه يدلنا مع الاختبار بأن في هذا الكون موجودات كثيرة لا نعرفها وترون في أصغر الكتب الطبيعية كالنقش في الحجر للدكتور فانديك أن في هذا الكون عوالم لا نعرفها لانها لا تدرك بحواسنا هذه ولو خلق لنا حواس غيرها لأدركنا مالا ندركه الآن . الجن عالم خفي أو غيبي أخبرنا بوجوده الأنبياء المؤيدون من خالق الكون بالوحي والإلهام فوجب التصديق بذلك . وإننا نرى الاعتقاد بوجودهم فاشياً في جميع الأمم والشعوب الهمجية والمدنة الوثنية والموحدة والملحدة . واننا نعد من نوع الجن هذه الاحياء الصغيرة التي لا ترى الا بالنظارات المكبرة فاللفظ اللغوي (جن) يتناولها وفي الحديث القائل بأن الطاعون من وخز الجن مايدل على ذلك والله أعلم

(س ٤) الإيمان بخاتم النبيين ـ عبد الحميد افندي نجيب بنيابة الزقازيق : هل يكون ايمان المسلم صحيحاً اذا اعتقد ان رحمة الله تعالى لاتسع من لا يؤمن بنبوة محمد

الهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك وقد قال تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (وقال) ورحمتي وسعت كل شيء »

(ج) ان رحمة الله تعالى وسعت كل شيء حتى المشركين فانهم انما يعيشون برحمته ويتمتعون بفضله ومن رحمته بالعالمين أن أرسل اليهم خاتم النبيين يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . ولا توجد طريقة لترقية الروح وتزكيتها تزكية تستوجب بها الرحمة الخاصة في الآخرة الا شريعته وملته ولذلك قال عز وجل بعد بيان أن رحمته وسعت كل شيء «فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونهم مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » الآية . فمن بلغته دعوة هذا النبي الكريم على وجهها وأعرض عنها فلا يستدبايمانه . ولكن اذا بلغته على غير وجهها أو نظر باخلاص وبحث فلم يظهر له صدقها فهو معذور وتقدم بسط هذا المعنى في المنار غير مرة

(س٤) ترجمة القرآن — رضاء الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الشرعية في أوفا (الروسية) : نشكر لكم بالا مزيد عليه ما كتبتم في المنار جوابا عن سؤالي في مسألة حدوث العالم فإنا طالعناه مع الأحباب والعلماء الكرام بمزيد الشوق ومجينا من سعة اطلاعكم وتبحركم في الفنون .... ثم اني أعرض على حضرتكم سؤالا آخر وهو . هل يجوز ترجمة القرآن الشريف الى اللغات الأعجمية كالفارسية والتركية وغيرهما ؟ ونسمع ان بعض علماء الهند نقله الى لغة الاوردو فهل ذلك صحيح وما حكم الشريعة في ذلك ؟ نرجو من حضرتكم الجواب في أحد أعداد المنار لتكون الفائدة عامة لنا ولغيرنا :

(ج) ان هذا القرآن عربي « ولو أنزلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي » ومن مقاصد الاسلام العالية جمع البشر على دين واحد ولغة واحدة لتكمل وحدتهم . وتحقق أخوتهم . وقد بينا هذه الحكمة من قبل ولا سبيل اليها الا بتحتيم بقائه عربيا . وان بقاءه عربيا داخل في معنى حفظ الله له . فترجمته غير جائزة وغير متيسرة فانه معجز في بلاغته وتأديته للمعاني ولن يستطيع ان يترجمه الا من يصل الى درجة الاعجاز في اللغة التي يحاول نقله اليها ويكون مع هذا في فهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاساليب العربية منقطع القرين ، وفي فهم الاسلام ومعرفة حقائقه آية في العالمين ، كلا انني موقن بأن ترجمة القرآن مستحيلة وانه لايوجد في البشر من يستطيع ان ينقله الى لغة أخرى بحيث يفهم قارئ الترجمة كل مايمكن أن يفهم من القرآن العربي المبين . وان من أكبر الجرائم والجناية على الدين ان يحاول المسلمون هذا الامر فيكون عند التركي قرآن تركي وعند الفارسي قرآن فارسي وهلم جرا . وقد عثر بعض العلماء فقال بجواز القراءة بالفارسية لمن عجز عن العربية ولكن طبيعة الاسلام لفظت هذا القول وتركته كالشيء الملقا ولم يعمل به أحد من المسلمين مع احترام قائله لأنه لم يكن سيء القصد . ولو أخذ الناس بهذا القول لما انتشرت اللغة العربية في الاقطار الاسلامية ولعدم الاسلام صدمة أرجعته الى جزيرة العرب وحبسته فيها

أقول هذا على تقدير ان المراد من السؤال ترجمة القرآن وحسبان الترجمة قرآنا باعتبار أن العبرة بالمعاني كما قال بعض العلماء والا كتفاء بذلك . وأما اذا ترجم شيء من القرآن بقصد جعله وسيلة للدعوة الى الاسلام فلا بأس بذلك لاسيما اذا كان من تراد دعوتهم كالافرنج الذين يبحثون عن أصول الاديان ولا يكتفون بعرض آراء علمائها عليهم لانهم يعتقدون ان علماء كل دين تصرفوا فيه باجتهادهم أو بأهوائهم . ومن يترجم القرآن بعضه أو كله لهذا الغرض فعليه أن يبين في مقدمة الترجمة أنه نقل الى لغة كذا مافهمه هو من القرآن ان كان يعتمد على فهمه أو مافهمه فلان المفسر ويذكر من اعتمد على تفسيره . واذا اعتمد على غير واحد من المفسرين فليذكر أسماءهم واذا أشار في هامش الترجمة الى عزو كل قول الى قائله فذلك أفضل وأكمل

وحسب المسلمين من الأعجمين تقصيرا في حق القرآن ان فسروه بلغاتهم وكان الواجب عليهم ان يجتهدوا في تعميم اللغة العربية ويفهموه بالعبارة العربية التي أنزل بها . ولولا الصدمات السياسية التي صدمت الاسلام لظل أهل فارس ومن يجاورهم الى هذا الزمن ينطقون بالعربية كما كانوا في القرون الأولى للاسلام بل لكانت بلاد الهند والافغان والترك وجزء عظيم من بلاد الصين كبلاد سوريا ومصر لهذا العهد ولكان في ذلك للاسلام سياج من الوحدة لايخرق . واذا لم يسع المصلحون في تلك البلاد وأمثالها بتعميم اللغة العربية فاهم بمصلحين ولا عاملين للاسلام ، وليعلموا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ان اعتصامهم بالجنسية اللغوية لايمنعهم من ابتلاع أوربا لهم في يوم من الأيام ،

أما ترجمة أحد علماء الهند القرآن بلسان الأوردو فلم نسمع به ونرجو من قراء المنار في الهند إعلامنا بالحقيقة

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

(رسالة في علم النفس وفلسفة الاخلاق للعالم العامل ع . ز)

(تمهيد) (١) ان للشرور أسباباً معظمها ناتج من أوهام باطلة . فيجب إحياء الحقائق وإزهاق الأوهام.

(٢) ان للأوهام أسباباً معظمها ناشئ من الجهل — البسيط والمركب — فيفرض تنوير الأذهان بقدر العلم وان كان قليلا .

(٣) ان للجهل أسباباً معظمها آت من قلة القراءة والكتابة الصحيحتين. فيلزم السعي في تكثير القراء الذين يفقهون مايكتب — كتابة صحيحة — والكتاب الذين يعرفون كيف يكتبون

(٤) ان لقلة القراءة والكتابة — الصحيحتين — أسباباً معظمها صادر عن رداءة أصول التعليم. فيتحتم الدلالة على الاصول النافعة وتمويد الناس عليها .

(٥) ان لرداءة أصول التعليم أسباباً جلها من التقليد الأعمى وإهمال التفكر. فلا بد من النصح والتناصح بالتفكر .

(٦) ان للتقليد الأعمى أسباباً أكثرها ناجم عن اختلال شئون النفوس في حبها وبغضها فيتعين وصف علاجات تشفي من هذا الاختلال ولو قليلا .

هذه الفرائض المشروحة لايشك في وجوبها عاقل ولكن من هم المكلفون بها؟ أنتم ياعلماء النفس مكلفون بهذه الفرائض . ومذ كلفت نفسي ان تتشرف بالدخول في زمرتكم طفقت أطالع صفحات كتاب الوجود بعين البصيرة وأقيد النتائج في دفتر المذاكرة . فهذا ماشجعني اليوم على أن أشاركم في أعمالكم . ومن أجل هذه المشاركة حررت فصولا لتأدية بعض هذه الفرائض أكثرت فيها من التوضيح

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأقلت الفضول وتوخيت أسهل العبارات وأجمل الإشارات وراعيت فيها فهم الصغير (من حيث القراءة لا من حيث السن) والكبير . ووهم الجليل والحقير ، وعدلت عن قيل زيد وعبيد واستمسكت بما أرسل الله لأبصارنا وبصائرنا من الأمثال .

واليكم ياقراء المنار الزاهر أقدم هديتي هذه (نظام الحب والبغض) بمساعدة منشئه العلامة المرشد أعلى الله مناره ، وأيده بعنايته ،

* * *

قطبان في الانسان عليهما تدور أحوال نفسه هما الحب والبغض . فهل يمكن إدخالهما تحت أحكام نظام ؟ (الجواب)

في هاتين القوتين المتنافرتين تكلم الانبياء والمرسلون . والحكماء المتبعون ، والعلماء المعلمون ، والشعراء الواصفون . والادباء المحاضرون ؛ وبهما تقارب الناس وتباعدوا ؛ وتحازبوا وتحاربوا ؛ واجتمعوا وتفرقوا ؛ وتعاونو وتخاذلوا ؛ ومن أجلهما طغوا واعتدلوا ؛ وأنصفوا وجاروا ؛

تكلم الناس كلهم في الحب والبغض ولكن اختلفت الاصطلاحات ؛ وتنوعت المقاصد ؛ واختلفت المشارب ؛ فتعددت الاسماء ؛ وكثرت الكلمات ؛ وتوفرت المعارضات والمجادلات ؛

فكلام الناس فيهما الدائر على مايجب ان يحب ومايجب ان يبغض يلوح ويصرّح بأنه من الممكن إدخال هذين المؤثرين تحت حكم « نظام »

وعلى هذا نكون نحن سالمين من الخطأ في تعبيرنا عن علم النفس واخلاقها بنظام الحب والبغض . بل نكون قد أصبنا عبارة هي أوضح من اخواتها في الدلالة على هذا العلم النفيس المفيد .

هذا — أي امكان دخول الحب والبغض تحت نظام — رأي طوائف العالم على اختلافهم ؛ به تشهد الاديان والعقول ، وله تؤيد المشاهدة والتجربة . ولآخرين قليلين رأي آخر هو عدم الامكان

وسيرى الذين يخالفون بياناً شافياً في هذا المقال . وسيذكر فيه الموافقون .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ماهو الحب وما هو البغض

ان لحياة الانسان (كسائر الحيوانات) نظاماً عرف بعد وجوده ولم يعرف مبتدأ وجوده . وقد عرف ان هذا النظام شبيه بنظام مملكة كثيرة الاجزاء بعض أفرادها مهم جداً خلوهامنه يوجب خللا كبيراً فيها. وبعضها من قبيل الخدم والأعوان لايوجب خلوهامنه خللا يذكر . وقد احتاج الناس من قديم الزمان لأجل التعريف بمعروفاتهم الى تسمية الاشياء باسماء يتواضعون عليها . فاما التي يشيع عرفها بين الناس فتصير أسماؤها من قبيل مفردات اللغة التي يتكلمون بها بمعنى ان استعمالها العام لمعناها المشهور يجعل معناها اللغوي المشهور عاما . وأما التي لايشيع عرفها الا بين العلماء منهم فتصير أسماؤها من قبيل مفردات العلوم التي يتداولونها . بمعنى ان استعمالها الخاص يجعل معناها المقصود عند العلماء خاصا . مثاله (١) كلمة «المبتدا» معناها العام «الأوّل» ومعناها الخاص عند علماء النحو الكلمة المسند اليها حكم من الاحكام. ومثاله (٢) كلمة «المجاز» معناها العام «المرّ» ومعناها الخاص عند علماء البيان العدول في كلمة عن معناها الأصلي والأجزاء التي يتكون منها نظام الحياة قد سمي كل منها باسم وجرى على كل منها الاستعمال العام أما مجموع مابه نظام الحياة فسماه القدماء من أهل لغتنا «النفس» لكن هذه الكلمة لدلالتها عن مدلول عظيم شأنه قد اتخذها العلماء لمعنى غير الذي يفقهه منها العامة من الناس . ومن ثمة كانت جديرة ان نقول انها «كلمة علمية» بمعنى ان لها معنى خاصا عند العلماء بخواصها وأحوالها .

«والحب والبغض» من هذا القبيل . أي انهما في اعتبار العامة كلمتان من جملة ماهو مشهور المعنى من مفردات لغتهم . وفي اعتبار العلماء ـ علماء النفس ـ هما كلمتان مدلولاهما تحت النظر والبحث يتساءلون فيما بينهم عن تعريفهما .

على انه يجب ان نصرّح بأن العلماء من حيث الجملة كثيراً مايصرفون المعروفات ويوضحون الواضحات . وكثيراً ماينتج من كثرة كلماتهم واصطلاحاتهم في توضيح الواضحات إبهامات يشغلون بها اذهان القارئين على غير جدوى . هذه حقيقة يجب ان لاتغفل عنها . وان لانغفل ذكرها . وهي تفرض علينا ان لانقلدهم في كل أبحاثهم وان لانشاركهم في الكلمات التي ابتدعوها في أكثر المواضع لالشيء الا حب توسيع مسافة الفرق بينهم وبين العامة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن لهذا الأمر مستثنيات هي التي تفتح لحسن الظن بنياتهم باباً كبيراً . وهذان الحرفان اللذان نحن بصددهما من مستثنيات هذا الامر . فكلنا نحب ونبغض ولكن في الحقيقة ما كل واحدمنا يعرف ماهو الحب وماهو البغض . ومن ثمة اختلفت تعاريفهما أيضاً بلسان العلم

والتعريف الموافق هو ان الحب اعتقاد خير راجع أو مناسب للنفس المحبة من الجهة المحبوبة (٠) والبغض ضده فهو اعتقاد شرّ الى آخر التعريف. وبهذا التعريف يمكننا بغاية السهولة ان نعرف العلة ونجيب عن هذا السؤال : « لما ذا نحب ونبغض »

وهذا التعريف الحقيقي هو الذي سهل لنا الحكم بأن دخولهما تحت حكم « نظام» ممكن لأن هذا الاعتقاد قد يكون صوابا وقد يكون خطأ شأن كل اعتقاد . فكما أمكن بواسطة العلم ارجاع كثير من الناس عن خطأهم في أشياء كثيرة يمكن ارجاع معتقد الخير والملائمة أو الشر والمباينة في جهة من الجهات عن ذلك الاعتقاد فيما المرء يحب اذا هو يبغض . واذا سلمنا التعسر احياناً لانقول بالتعذر . وسيوضح هذا أمثلة كثيرة

حب الذات

وعلى حسب التعريف السابق للحب وضده . وعلى حسب التعليل المتقدم (لماذ نحب ـ لماذا نبغض) يظهر ان الانسان لايحب غيره الاّ لأجل ذاته فهو بهذا الحب لم يخرج عن حب ذاته الا بحسب الصورة فقط . فهل هذا صحيح ؟ وماالدليل عليه ؟ وهل محبة الذات أمر نافع أم أمر ضارّ ؟

نعم ان الانسان لايحب غيره الاّ لأجل ذاته . وهذه الحقيقة دقيقة جدّا يدركها بعض بالبداهة ولا يدركها البعض الاّ بالإيضاح . ونحن نجمل الكلام ونذكر رؤوس المباحث التي تتعلق بأذيالها . ونشرحها قضية قضية موجزين : (١) الانسان يحب ذاته (٢) حب الذات في أصله طبيعي نافع . « ٣ » ذات غيرنا كذاتنا فلا بد من حد

(٠) المنار: ادراك النفس قسمان فكر ووجدان والاعتقاد من الاول والحب من الثاني وكذلك البغض فالحب شعور وجداني بأمر يلائم النفس لانه خير لها في نظرها والخير هو النافع واللذيذ والنفع يعرف بالفكر واللذة تعرف بالوجدان فوجدان الحب معلول لأحدهما أو كليهما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الحقوق لنا ولغيرنا ، فحب الذات له حدود . (٤) اذا تجاوزنا الحدود فى حب الذات صار ضارًا . (٥) اذا لم نحب غيرنا لانقدر ان نقف عند الحدود (٦) اذا لم نحب ذاتنا ، لانقدر ان نحب غيرنا . (٧) بغض الذات مرض . (٨) قد يكون هذا المرض نافعاً اذا سلمت به النفوس من الشرور . (٩) متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة ،

« للكلام بقية »

آثار علمية حديثة

﴿ كتابة القرآن بالحروف الانكليزية ﴾

كتب بعض المسلمين فى الترنسفال الى جريدة فى مصر ثلاثة أسئلة لتعرضها على بعض علماء الازهر فعرضتها على الشيخ محمد بخيت فأجاب عنها ونشرت الجريدة أجوبته . أحد الاسئلة عن التزوج بأخت الرضيعة وجوابه معروف وهو انه لايحرم على الرجل الامن رضعت هي وإياه من امرأة وأما أخت الرضيعة فلاتحرم . والسؤال الثاني يتعلق بالاقتداء بالمخالف وبينا الراجح فيه عندنا فى آخر الجزء الماضي وأن فى المسألة قولين مصححين ولكن الشيخ ذكر ان الاصح خلاف مارجحناه وهو المذكور فى كتب الفقه وهم أسرى تلك الكتب .

وأما السؤال المهم فهو ما جعلناه عنوانًا لهذه النبذة وقد أجاب عنه الشيخ بجواب ننقله عن تلك الجريدة مع السؤال ثم نبين رأينا فيه وهو :

«سؤال ــ ماقولكم علماء الاسلام ومصابيح الظلام أدام الله وجودكم هل يجوز كتابة القرآن الكريم بالحروف الانكليزية والافرنسية مع ان الحروف الانكليزية ناقصة عن الحروف العربية ومعلوم ان القرآن الكريم أنزل على لسان قريش فالانكليزي مثلا اذا أراد ان يكتب مصر بالانكليزية تقرأ «مسر» أو أحمد تكتب «أهمد» ويكتب «شيك» بمعنى شيخ لاسيما واخواننا المسلمون فى مصر يعرفون اللغة الانكليزية وغيرها والبعض من المسلمين فى جنوبي أفريقية فى جدال عنيف منهم من يجوّز ومنهم من يقول غير جائز . أفيدونا ولكم الاجر والثواب من الله تعالى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« جواب ـ اعلم ان القرآن هو النظم أي اللفظ الدال على المعنى لانه الموصوف بالانزال والاعجاز وغير ذلك من الاوصاف التي لاتكون الا للفظ . وأما المعنى وحده فليس بقرآن حقيقة . وقيل ان القرآن حقيقة هو المعنى ويطلق على اللفظ مجازاً . والحق هو الاول وعليه فلا يجوز قراءة القرآن بغير العربية لقادر عليها وتجوز القراءة والكتابة بغير العربية للعاجز عنها بشرط ان لايختل اللفظ ولا المعنى . فقد كان تاج المحدثين الحسن البصري يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية . وفي النهاية والدراية ان أهل فارس كتبوا الى سلمان الفارسي ان يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكتب فكانوا يقرأون ما كتب في الصلاة حتى لانت ألسنتهم . وقد عرض ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه . وفي (التفحة القدسية في أحكام قراءة القرآن وكتابته بالفارسية) مايؤخذ منه حرمة كتابة القرآن بالفارسية الا ان يكتب بالعربية ويكتب تفسير كل حرف وترجمته ، ويحرم مسه لغير الطاهر اتفاقا . وفي كتب المالكية انما كتب بغير العربية ليس بقرآن بل يعتبر تفسيراً له . وفي الاتقان للسيوطي عن الزركشي انه لم ير كلاماً لعلماء مذهبه في كتابة القرآن بالقلم الاعجمي وانه يحتمل الجواز لانه قد يحسنه من يقرأه بالعربية والاقرب المنع كما تحرم قراءته بغير العربية ولقولهم القلم أحد اللسانين والعرب لاتعرف قلماً غير العربي وقد قال تعالى « بلسان عربي مبين »

« فتلخص من ذلك ان المنصوص عند الحنفية جواز القراءة والكتابة بغير العربية للعاجز عنها بالشروط المار ذكرها وان الاحوط ان يكتبه بالعربية ثم يكتب تفسير كل حرف وترجمته بغيرها كالانكليزية » اه

(المنار) : عندنا مسألتان إحداهما ترجمة القرآن الى لغة أعجمية أي التعبير عن معانيه بألفاظ أعجمية يفهمها الأعجمي دون العربي وهذه هي التي سألنا عنها الفاضل الروسي ونشرنا السؤال والجواب في هذا الجزء . والثانية كتابة القرآن العربي بحروف غير عربية وهذه هي التي يسأل عنها السائل الترنسفالي . وقد رأى القراء أن جواب المجيب عنها مضطرب والنقول التي نقلها مضطربة لذلك رأينا أن ننقله ونحرر القول في المسألة تحريراً

المقصود من الكتابة أداء الكلام بالقراءة فاذا كانت الحروف الأعجمية التي يراد كتابة القرآن بها لاتفي غناء الحروف العربية لنقصها كحروف اللغة الانكليزية فلا شك أنه يمتنع كتابة القرآن بها لما فيها من تحريف كله ومن رضي بتغيير كلام القرآن اختياراً فهو كافر. واذا كان الأعجمي الداخل في الاسلام لا يستقيم لسانه بلفظ محمد فينطق بها (مهمد) وبلفظ خاتم النبيين فيقول (كاتم النبيين) فالواجب ان يجتهد بتمرين لسانه حتى يستقيم واذا كتبنا له أمثال هذه الكلمات بحروف لغته فقرأها كما ذكر فلن يستقيم لسانه طول عمره . ولو أجاز المسلمون هذا للرومان والفرس والقبط والبربر والافرنج وغيرهم من الشعوب التي دخلت في الاسلام لعلة العجز لكان لنا اليوم أنواع من القرآن كثيرة ولكان كل شعب من المسلمين لايفهم قرآن الشعب الآخر

واذا كانت الحروف الأعجمية التي يراد كتابة القرآن بها مما تتأدى بها القراءة على وجهها من غير تحريف ولا تبديل كحروف اللغة الفارسية مثلا ففي المسألة تفصيل والذي نقطع به أن الكتابة بخطها لاتكون إخلالا بأصل الدين ولا تلاعباً به وان هو خالف الخط العربي فالفرق بين الخط العربي المعروف والخط الكوفي أبعد من الفرق بين الخطين العربي والفارسي ونرى علماء المذاهب متفقين على هذه الخطوط كلها ولكنهم يعتدونها عربية. واذا قيل إنها مختلفة اختلافا لا يكفي لمتعلم أحدها ان يقرأ الآخر كالكوفي والفارسي: نقول: قصارى مايدل عليه ذلك ان كل خط جائز بشرطه ولكن عندنا مايدل على أنه ينبغي الاتفاق على خط واحد. فهم المسلمون هذا من روح الاسلام فكانوا متحدين في كل عصر على كتابة القرآن بخط واحد يتبع فيه رسم المصحف الإمام لايتعدى الا الى زيادة في التحسين والإتقان. ذلك من آيات حفظ الله له وهو عندي واجب فان القرآن هو الصلة العامة بين المسلمين . والعروة الوثقى التي يستمسك بها جميع المؤمنين . ومن التفريط فيه أن يفد المسلم انقاري على مصر قادما من الصين فلا يستطيع القراءة في مصاحفها وكذا يقال في سائر الشعوب . وتصريح كثير من الأئمة بأن خط المصحف توقيفي وأنه لايجوز التصرف فيه بؤيد مذهبنا هذا

ولقائل ان يقول : ان في هذا الرأي تضييقاً على نشر القرآن ... وتوسيع دائرة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدعوة الى الاسلام . وإننا نرى النصارى قد ترجموا أناجيلهم الى كل لغة ، وكتبوها بكل قلم ، حتى إنهم ترجموا بعضها بلغة البرابرة . فما بال المسلمين يضيقون ، وغيرهم يتوسعون . ؟ ولنا ان نقول فى الجواب : إننا جوزنا ترجمة القرآن لأجل الدعوة عند الحاجة الى ذلك ولا شك ان الترجمة تكتب باللغة التي هي بها . ولكن المسلم الذي يقرأ القرآن بالعربية لايحتاج الى كتابته بحروف أعجمية الا في حالة واحدة وهي تسهيل تعليم العربية على أهل اللسان الأعجمي الذين يدخلون في الاسلام وهم قارئون كاتبون بحروف ليست من جنس الحروف العربية

واذا وجد للاسلام دعاة يعملون بجد ونظام كالدعاة من النصارى فلهم ان يعملوا بقواعد الضرورات ككونها تبيح المحظورات وكونها تقدر بقدرها . فاذا رأوا أنه لاذريعة الى نشر القرآن واللغة العربية الا بكتابة الكلام العربي بحروف لغة القوم الذين يدعونهم الى الاسلام ويدخلونهم فيه فليكتبوه به مادامو ا في حاجة اليه ثم ليجتهدوا فى تعليم من يحسن إسلامهم الخط العربي بعد ذلك ليقووا رابطتهم بسائر المسلمين

وكما يعتبر هذا القائل بترجمة القوم لكتبهم فليعتبر بحرص الأمم الحية منهم على لغاتهم وخطوطهم . اللغة الانكليزية أكثر اللغات شذوذاً فى كلمها وخطها ونرى أهلها يحاولون ان يجعلوها لغة جميع العالمين وهم يبذلون فى ذلك العناية العظيمة والاموال الكثيرة فما لنا لانعتبر بهذا ؟؟

وفى جواب الشيخ محمد بخيت مباحث ليس من غرضنا الإ حفاء فيها ونكتفي بأن نقول إن مايصح ان ينظر فيه من نقوله هو ماذكره عن السلف فأثر سلمان ان أريد به انه كتب لهم ترجمة الفاتحة بلغة الفرس فكيف يكون ذلك وسيلة لتلين ألسنتهم ، وهم لم يقرءوا الا بلغتهم . وان أريد به أنه كتبها بالخط الفارسي فالخط الفارسي قريب من العربي ولا دخل له أيضاً بلين الألسنة . والصواب أن الأثر غير صحيح . وأما الحسن البصري الذي ذكره فما هو الحسن التابعي المشهور وكأنه أحد الفرس الحنفية ولا حجة فى قوله فكيف يحتج بعمله ، على ان فيه مافي الذي قبله وهو أن القراءة بالفارسية لايلين بها اللسان للعربية الا ان يقال كان يقرأ الترجمة حتى تمرن لسانه على العربية باستعمالها وممارسة الكلام فيها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

باب التقريظ

(كتاب البؤساء)

هو أشهر ما كتبه شاعر فرنسا الحكيم ، وأديبها العظيم ، « فيكتور هيجو » وهو هو الكتاب الذي رفع به ذكره ، وعلا في عالم المدنية قدره ، حتى صارت فرنسا تفاخر به العالمين ، وتحتفل لشيخوخته ولوفاته احتفالات لا يعهد مثلها للملوك والسلاطين ، وقد نقلت جميع الأمم الحية هذا الكتاب الى لغاتها وهمّ به بعض المشتغلين بالتعريب فما أطاقوه ، وكأنهم هابوا بلاغته في لغته لانه في الذورة العليا مما كتب بالفرنسية حتى أقدم عليها محمد حافظ افندي ابراهيم المشهور برسوخ المرقى في العربية وآدابها وطول الباع في التنقيح والتحرير ، والاجادة في المنظوم والمنثور ، فشرع فيه وسلخ في تعريب الجزء الاول منه اثنى عشر شهراً — كما قال في المقدمة — وهو نحو ١٥٠ صفحة . وقد قدّم الكتاب الى الاستاذ الامام . وحكيم الاسلام . فشكر له الاستاذ ذلك بكتاب بليغ نستغني بنشره عن الكلام في مكانة التعريب من البلاغة : ومحله من الفائدة . ونبدأ بما كتبه حافظ افندي في أول النسخة المطبوعة وهو :

الى الاستاذ الامام

انك موئل البائس ، ومرجع اليائس . وهذا الكتاب أيدك الله قد ألمّ بعيش البائسين . وحياة اليائسين — وضعه صاحبه تذكرة لولاة الامور وسماه كتاب البؤساء وجعله بيتا لهذه الكلمة الجامعة وتلك الحكمة البالغة (الرحمة فوق العدل)

وقد عنيت بتعريبه لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة النسب . وتصرفت فيه بعض التصرف ، واختصرت بعض الاختصار . ورأيت أن أرفعه الى مقامك الاسنى . ورأيك الاعلى . لأجمع في ذلك بين خلال ثلاث — أولها التيمن باسمك والتشرف بالانتماء اليك — وثانيها ارتياح النفس وسرور اليراع برفع ذلك الكتاب الى الرجل الذي يعرف مهر الكلام ومقدار كد الافهام — وثالثها امتداد الصلة بين الحكمة الغربية والحكمة الشرقية باهداء ماوضعه حكيم المغرب الى حكيم المشرق

فليتقدم سيدي الى ذلك بقبوله والله المسؤل أن يحفظه للدنيا والدين . وان يساعدني على اتمام تعريبه لنقارئين . . اهـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأجابه الأستاذ الإمام بهذا التقريظ وهو :

لو كان بي ان أشكرك لظن بالغت في تحسينه. أو أحمدك لرأي لك فينا ابدعت في تزيينه. لكان لقلمي مطمع ان يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك. ويجري في الشكر الى الغاية مما يطلبه فضلك. لكنك لم تقف بعرفك عندنا. بل عممت به من حولنا، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا

زففت الى أهل اللغة العربية. عذراء من بنات الحكمة الغربية. سحرت قومها، وملكت فيهم يومها . ولا تزال تنبه منهم خامداً. وتهز فيهم جامداً. بل لا تنفك تحيي من قلوبهم ما أماتته القسوة. وتقوم من نفوسهم ما أعوزت فيه الاسوة. حكمة أفاضها الله على رجل منهم فهدى الى التقاطها رجلا منا فجرّدها من ثوبها الغريب. وكساها حلة من نسج الاديب. وجلاها للناظر. وحلاها للطالب. بعد ما أصلح من خلقها. وزان من معارفها. حتى ظهرت محببة الى القلوب. شيقة الى مؤانسة البصائر. تهش للفهم وتبش للطف الذوق. وتسابق الفكر الى مواطن العلم. فلا يكاد يلحظها الوهم الا وهي من النفس في مكان الالهام

حاول قوم من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الاعجم مبلغك فوقف العجز بأعلبهم عند مبتدأ الطريق ووصل منهم فريق الى ما يحب من مقصده. ولكنه لم يعن بأن يعيد الى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها ويرد اليها ما سلبه المقتدون عليها من متانة التأليف وحسن الصياغة وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه. أما أنت فقد وفيت من ذلك مالا غاية لمريد بعده. ولا مطمع لطالب أن يبلغ حده. ولو كنت ممن يقول بالتناسخ لذهبت الى أن روح ابن المقفع كانت من طيبات الارواح فظهرت لك اليوم في صورة أبدع. ومعنى أنفع. ولعلك قد سننت بطريقتك في التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك. ويحملها الزمان الى أبناء ما يستقبل منه. فتكون قد أحسنت الى الابناء. كما أجملت في الصنع مع الآباء. وحكمت للغة العربية أن لا يدخلها بعد من العجمة سوى ما هو في الاسماء أسماء الاماكن والاشخاص لا أسماء المعاني والاجناس. ومثلي من يعرف قدر الاحسان اذا عمّ . ويعلي مكان المعروف اذا شمل. ويتمثل في رأيه بقول الحكيم العربي:

ولو اني حييت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفراداً
فلا هطلت عليّ ولا بارضي سحائب ليس تنتظم البلادا

www.alukah.net

فما أعجز قلمي عن الشكر لك وما أحقك بأن ترضى من الوفاء بالمفاء

تقول ان الذي وصل سببك سر صاحب الكتاب ووقف بك على دقائق من معانيه اشتراكك معه في البؤس. ونزولك منزلته من سوء الحال. وربما كان فيما تقول شيء من الحقيقة. فان كان البؤس قد هبط على صاحبه بتلك الحكمة. ثم كان سبباً في امتيازك من بين المترفين بتلك النعمة. سألت الله ان يزيد وفرك من هذا البؤس حتى يتم الكتاب على نحو ما ابتدأ وان يجعلك في بؤسك أغنى من أهل الثراء في نعيمهم والسلام

(محمد عبده)

وقد طبع الكتاب بمطبعة التمدن على نفقة صاحب السعادة احمد حشمت باشا مدير الدقهلية وهي أريحية لا يعرفها أهل العربية في أنفسهم الا ما كان أيام سلفهم وثمن النسخة من الكتاب عشرة قروش أميريه وأجرة البريد قرش واحد وهو يطلب من ادارة المؤيد ومن مطبعة التمدن بمصر نحث أهل العلم والادب على اقتنائه ونعدهم بنشر نموذج منه

(إعانة سكة الحديد الحجازية)

تذكر أننا ذاكرنا صاحب الدولة مختار باشا الغازي في مسألة إعانة هذه السكة عند مابدأوا بجمعها فقال كان من رأيي ان يفرض على كل مسلم مبلغ قليل في كل سنة من سني العمل فيكون ذلك مع الموارد الأخرى المخصصة لنفقات السكة ربما ثابتاً مقدراً ويمكن معه تقدير الاعمال ولا يثقل على أحد من الناس. وكنت استحسنت هذا الرأي وقد ظهر لنا الآن أن مولانا السلطان لم يكن غافلا عنه ولكنه أطلق عنان الإعانة أولا ليظهر كرم المسلمين في أول نشأة العمل ثم رجع الى هذا الآن فأصدر أمره بتعيين مبلغ أقله خمسة قروش على كل مسلم — وأي مسلم يعسر عليه دفع خمسة قروش في السنة ؟ ويسرنا ان مسلمي مصر قد اندفعوا الى تأليف اللجان وجمع الإعانات ونرجو ان يسبقوا غيرهم في هذا المضمار . وان كره لهم ذلك « أصحاب السعادة » النظار. فإن كراهتهم لا أثر لها في جلب منفعة ولا دفع مضرة « ورضوان من الله أكبر » وليعلموا أنهم أكثر مسلمي الارض رخاء وهناء وسعة الا ان يكون في الصين من يفضلهم في ذلك من حيث لا ندري . ثم أنهم قد ذاقوا مرارة صدهم عن بيت الله وإقامة العقبات في وجوه مريدي الحج اليه ولا يدرون ماهو مخبأ لهم في المستقبل فليبادروا الى تسهيل سبيل بيت الله وأجرهم على الله وهو لا يضع أجر المحسنين

www.alukah.net شبكة من شبكة الألوكة

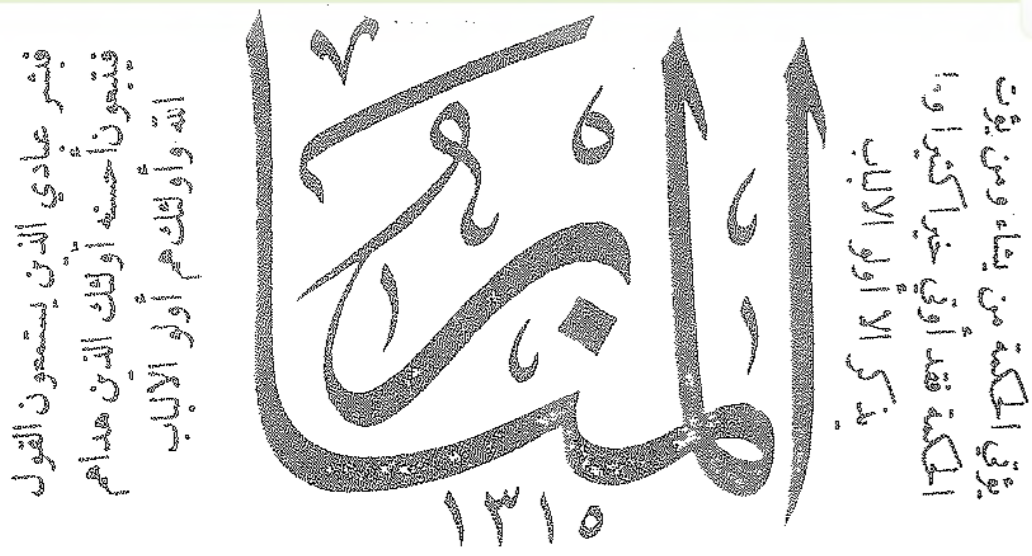

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الاحد ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢١ — ١٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣ ﴾

﴿الكرامات والخوارق﴾

﴿ المقالة الرابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التأويل والتعليل ﴾

﴿ النوع السادس كلام الجمادات والحيوانات ﴾

قال السبكي : ولا شك فيه وفي كثرته ومنه ماحكي أن ابراهيم ابن أدهم جلس في طريق المقدس تحت شجرة رمان فقالت له « يأبا اسحق أكرمني بأن تأكل مني شيئاً » قالت ذلك ثلاثاً وكانت شجرة قصيرة ورمانها حامضا فأكل منها رمانة فطالت وحلا رمانها وحملت في العام مرتين وسميت رمانة العابدين . وقال الشبلي : عقدت ان لا آكل الا من حلال فكنت أدور في البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي لآكل منها فنادتني الشجرة « أحفظ عليك عقدك ولا تأكل مني فاني ليهودي » فكففت يدي : هذه حكايات السبكي التي بنى عليها نفي الشك في هذا النوع وان لم تتفق مع أصله وشروطه ولم ترو بطرق صحيحة وأسانيد معروفة . واذا صح ان ابن أدهم والشبلي قد قالا مانقل عنهما في ذلك فالأقرب أنهما كانا يعنيان القول بلسان الحال فحمله بعض الناقلين على لسان المقال حبا في الإغراب او غلوا في تعظيم الصالحين على ان من الصوفية من يقول بأن صفة الحياة سارية في جميع المخلوقات حتى الاحجار والمعادن ويفسرون قوله تعالى « وان من شيء الا يسبح بحمده » على ظاهره فيقولون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

انه تسبيح حقيقي قولي لا لسان حال ودلالة أثر على مؤثر . والقضية ممكنة في ذاتها ولا يبعد ان يكون لكل صنف من المخلوقات حياة تليق به بل هذا هو اللائق بالإبداع الالهي والنظام العام ولكن البعيد ان يكون الجماد والنبات عالمين بسائر الشئون وناطقين بجميع اللغات . فيكلمان هذا بلسانه . ويفصحان لذاك عن بعض شانه . وأبعد من هذا البعيد ان لا يكون ذلك الكلام المزعوم سنة عامة بأن يكون خروجا عن السنن الالهية لتحقق لابن أدم شهوته . وللشبلي عزيمته ، ومثل هذه الخارقة مما نقل عن عباد النصارى (كاسيريدون العجائبي) وحكاياتهم فيها شبيهة بحكاياتنا وكل حزب بما لديهم فرحون

النوع السابع إبراء العلل

أشار السبكي في الكلام على هذا النوع الى حكاية الرجل الذي لقيه السري السقطي ببعض الجبال يبرئ الزمنى والعميان والمرضى . والى ماروي عن الشيخ عبد القادر الجيلي من انه قال لصبي مقعد مفلوج أعمى مجذوم : قم باذن الله : فقام معافى لا عاهة به . أقول وقد ذكر الشيخ علي القاري هذه الحكاية مفصلة في كتابه (نزهة الخاطر الفاتر في مناقب السيد عبد القادر) وأوردتها في كتاب (الحكمة الشرعية) وقفيت من بعدها بحكاية أخرى لصاحب هذا الكتاب . وامثال هذه الحكايات كثير عن الصالحين جدا ولا شك عندي في ان الكثير منها صحيح لاشبهة فيه . وينقل مثله أيضاً عن رجال الدين المعتقدين من النصارى والوثنيين وقد وقع على يدي شيء من ذلك في بعض الأمراض العادية ، وليس في ذلك شذوذ عن السنن الطبيعية ،

ان الوهم يفعل في شفاء الأمراض العصبية مالا يفعل العلاج ، ولا يوجد مثار للوهم أقوى من اعتقاد المعتقدين بالسلطة الروحانية والقوى الغيبية يؤتاها بعض رجال الدين . ويكفي في توثيق عرى هذا الاعتقاد في المستمدين له ماينقل اليهم بلسان زيد وعمرو . وهند ودعد . من الحكايات الغريبة ، والوقائع العجيبة ، واذا رأى أحدهم بعينه واقعة منها أو بعض واقعة أو شبهة على واقعة كأن يرى فلانا الذي كان مريضا قد شفي بعد رقية رقي بها . أو تميمة علقت عليه . فهناك الجزم بأن كون الشيخ فلان يشفي المرض بالسر . ويبرئ العلل بالبركة . من القضايا اليقينية الاولية لا يتسرب اليه الشك . ولا يحوم حوله الريب . وان من ينكره فهو مريض الاعتقاد ، أو من أهل الجحود والإلحاد ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عرف هـذا الأطباء والعقلاء فاستعانوا بالايهام على معالجة الأمراض العصبية فنجحوا نجاحا عظيما وهم يتفننون فى تصوير الوهم بالصور المناسبة لحال المرضى فى اعتقاداتهم بل يخلقون لهم اعتقادات ببعض الاشخاص أو ببعض الادوية ويبالغون فى تعظيم شأنها حتى يشغلوا خيال المريض بها ثم يسلطونها على مرضه . وانك لترى حكيما من الحكماء يدعو الى منزله دجالا من الدجاجلة الذين يدعون التصرف فى الجان والسلطة على العفاريت الذين يمسون الانسي — يدعوه ليعالج بايهاماته الدجلية امرأة عنده مصابة بمرض عصبي مما يسميه الأطباء (الهستيريا) بعدأن يعجز عنها الأطباء. ويخيب فيها كل دواء. فتشفى برؤية زيه وبزته. وشم بخوره وسماع رقيته . ويعترف له ذلك الحكيم بأنه يفعل بكلماته وعزائمه . مالا يفعل الطبيب بأدويته ومراهمه . أتقول ان هـذا الحكيم يعتقد بحقية هـذه الخرافات . ويدين بأن ذلك الدجال من أهل الخوارق والكرامات ،أم تقول أنه سلط الوهم على الوهم . كما يدفع فى الجدل الرأي الفاسد بالدليل الفاسد . وانه يرى المريض فى عصبه كالمريض فى عقله . ذلك يتأثر بأوهام الدجل. وهذا يقتنع بمغالطات الجدل.؟

الامراض العصبية التي تفعل فيها الاوهام ضروب مختلفة منها بعض فنون الجنون ومنها مقدماته. ومن المصابين بها من يعتقد بالشيطان يخالط روح الانسان ويعتقد بأن لبعض الناس سلطانا على الشياطين بطريقة صناعية كالبدعة الذميمة التي يسمونها (الزار) : وهي منبع المآثم والاوزار . أو بطريقة روحانية كبركات الشيوخ ورقاهم وعزائمهم . وتجد الذين يتحلون هذا الامر بسلوك كل من الطريقتين يعيشون فى مثل هذا البلاد بأكل أموال الناس بالباطل فكثيرا مايوهمون من يرونه مستعدا لهذه الامراض من النساء والرجال بأنه مصاب بها وما هو بمصاب فيؤثر قولهم في نفسه فيمرض ويحكمهم فى نفسه يعالجونها كيف شاؤا . بل يحكمهم فى حاله وشرنه أحيانا وكثيراً مايزيدون الداء إعضالا بحمقهم وسوء سلوكهم

جاءتني جريدة المؤيد وأنا أكتب في هذا النوع فرأيت في رسالة الاسكندرية منها كلاما فى انتشار وباء الزار في تلك المدينة وفعله فى النفوس والأعراض مالم يفعل الطاعون فى الاجسام . وفي الاموال والعروض مالم يفعل القمار والمدام . وقد رأيت ان أنقل ما كتب الكاتب بنصه فاقرأه تحت عنوان بدعة الزار

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مضار بدعة الزار

«أصدرت محافظة ثغر نا في الاسبوع الماضي أمرها الى أقسام المدينة بمراقبة النسوة المشتغلات بالزار لان جمعياتهن كثرت برواج خزعبلاتهن فألحقن بربات البيوت أضراراً أدبية ومادية لايحسن التغاضي عنها وعهدت المحافظة أمر تجسس هذه المحرمات الى مشايخ الحارات ظناً منها أنها تستفيد من دقة مراقبتهم وتضرب بواسطة نفوذهم على أيدي أولئك النساء الشريرات

«أما نحن فنقول ان أوامر نظارة الداخلية الصادرة من عشر سنين وبيف والمصدق عليها من مجلس علماء الازهر الشريف وافتائه بتحريم استعمال بدعة الزار الشنيعة لم تكن فى حاجة الى أوامر جديدة وهمة حديثة ليقال معها ان حكومتنا اليوم التفتت الى ضرر لتلافيه ونظرت الى محرم فلاحقته بعدلها بل يجب أن نصرح بأنها أغضت زمنا عن واجب مقدس ثم تنبهت الى نظام موضوع من أجله فهبت الآن لتلافي الشر ووقاية هاته العيلات وثروتها وآذا بها من نتائجه الكثيرة التي منها الاملاق والجنون والطلاق والمروق عن جادة الاستقامة والعفاف وغير ذلك من الاضرار الظاهرة التي لاتحتاج الى استطلاع وفلسفة

«أما الاملاق والجنون فيكفي أن نشير اليهما بحادثة امرأة أشفقت على ابنتها المصابة بمرض عصبي (هستيريا) فالجأت الى الزار فصارت تبذل لهن مطالبهن الكثيرة من ذهب وطعام وغنم ودجاج حتى احتاجت الى المال فباعت كنها الوحيد الذي يستظلون به ويلجأون اليه وكانت النتيجة جنون الفتاة وموت أمها غما وقهراً لان ألعاب الزار وأوهامه من شأنها أن تثير العواطف وتنبه الاعصاب الى ماكمن من الداء فيظهر بشدة حينئذ ويصبح على التوالي ملكة لايرضيها غير هذه الاعمال الخيالية النفسانية فبدلا من تسكين لاعجه يزداد شراً على شر ويكون من نتائجه الجنون وكفى بالفقر مذهباً للرشاد ومضيعا للعقول

« وكم من زوج طلق عرسه لتبذيرها ونبذها طاعته فى سبيل هذا الزار الذي استحكم فصار عادة بين النساء وموضع افتخار بعضهن وقليل من العقل والروية يكفي لنبذ الرجل زوجته ان زالت معاندته والعمل على اساءته وهي لاتدري انه البر الرؤف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بها في منعها عن الانغماس في حمأة هذه الاوضار بل تظن به الشح والوسواس والكفر والكراهة الى غير ذلك من الظنون السخيفة التي تزرعها نساء الزار في رءوس لبسيطات من هؤلاء الامهات والفتيات فيقضين على راحتهن ومستقبلهن قضاء مبرما بالتفرقة والخراب وكفى بهذه النتائج المحزنة داعياً الى التفات الحكومة ومطاردتها للمشتغلات بهذه الدنايا والرزايا

«أما المروق عن جادة الاستقامة والعفاف فهذا كثير فان لقهرمانات الزار فنونا وحيلا ينفر منها ابليس ويستعيذ بسلبها منهن بالله لانها فوق قدرته لو أبناها في هذه العجالة وقليلها يكفي للاشارة الى سوء الحال وشر المآل

«حكي ان امرأة تعشقها سفيه دني، فاحتال للوصول اليها كثيراً حتى لجأ الى نساء الزار فلبثن دورهن مع المرأة حتى أثرن عليها بأنها ملموسة بروح شريرة مما يعبرن عنه (بأن عليها شيخ) وعند ما ملكنها بهذه الخزعبلة قلن لها ان شيخك يحب شابا صفته كذا وكذا الخ الخ . ولا سبيل لسكون هذا القادر الا باجتماعهما وما زلن بها حتى رضيت بالشاب فكان من اجتماعهما ما كان من سكون لواعج النفس بطرد حركة الشيخين ... وكثيراً ما يجمع النسوة الشريرات مدبرات الزار الرجال بالنساء ويمهدن سبل الدنايا والموبقات على أشكال وضروب لا يليق بيانها وبذلك تتقوض أسس المحبة الزوجية فتكون العواقب أشد وخامة على الذرية التي لم تجن ما جناه الابوان من جهلهما وتساهلهما

«والغاية من رسالتي هذه اني أريد افهام الحكومة ان تكليفها مشايخ الحارات بمراقبة المشتغلات بالزار ومنازل طلابهن ومريديهن لا خير فيه ولا فائدة لانها تفتح لهؤلاء المشايخ المراقين باب رزق وسيع فانهم يسعون الآن باحثين منقبين على من يحيي ليالي الزار وأيامه ليستفيدوا أتاوة الصمت والتغاضي وهو ربح حسن يفضل الارباح العائدة عليهم من المخافر والضمانات وغيرها ... وبذلك يزيد الزار انتشاراً وضرراً» اه بنصه

(المنار) ان ما رآه الكاتب في مشايخ الحارات صحيح فانهم قوم لا اخلاق لهم . واذا كان وجهاء الناس والذين يظن فيهم العقل والأدب والدين يخدعون للنساء المتحلات لبدعة الزار الضارة ويعتقدون نفعها فماذا عسى ينتظر من مشايخ الحارات وأكثرهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من التحوت والغوغاء الذين يشترون بالآداب والأعراض ثمنا قليلا ولو جعلت الحكومة لمن يدلها على ذلك جعلا ولو قليلا لما خفي عليها شيء ولتيسر لها أن تستأصل هذه البدعة الضارة استئصالا

ومن العجائب ان الرجال يسمعون بآذانهم ويقرءون بألسنتهم ويشاهدون بأعينهم مفاسد الزار وفتكه بالأموال والاعراض وإفساده للاخلاق والعقائد وهم مع ذلك يسمحون لنسائهم بعمله وبحضوره فأي شرف وأي نخوة بقي عند هؤلاء الرجال السفهاء الاحلام الميتي الإرادة ؟ والله لو صلح الرجال لما فسد النساء ووالله ما أفسد النساء الا الرجال فلعن الله من لا غيرة له ، ولعن الله من لا نخوة له ، ولعن الله من لا شرف له ،

* * *

لكل قوم نصيب من الوهم يليق بجاهلهم واعتقادهم وقد ألمعنا الى بعض شأن الذين يعتقدون بالارواح الخيرة والشريرة وأما الماديون والروحيون الذين يعتقدون ان الارواح أمور غيبية لا سلطان لها الا في أبدانها التي تحيا بها وأن لجميع الامراض أدوية يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها (كما ورد في الحديث) فان للوهم منافذ أخرى الى نفوس المصابين بالامراض العصبية منهم كالاعتقاد ببراعة الاطباء واكتشافاتهم واختراعاتهم ، وبأخبار الذين شفوا بمعالجاتهم ، وان كثيراً من أطباء أوربا وأمريكا يعالجون امثال هؤلاء المرضى بالادوية الوهمية . حكي ان امرأة منهم أعضل داؤها ، وعز شفاؤها ، فجاء بعض الاطباء الذين كانوا يعالجونها وقال : ان كل تلك الادوية التي كانت تداوى بها من المسكنات وانه لم يبق الا علاج سام خطر هو الشافي قطعا ولكن لا يمكنني ان أعطيها منه الا بشروط منها أن لا تزيد عن المقدار الذي أعينه نقطة من السائل ولا مقدار ذرة من الجامد ومنها ان تأخذه في المواقيت المعينة لا تتقدم دقيقة ولا تتأخر دقيقة ومنها أن نكتب كتابة ونسجلها في المحكمة بأنه لا تبعة عليّ ولا مطالبة اذا هي ماتت مسمومة لأني لا آمن من مخالفتها في المواقيت او المقادير . وقد تردّد أهل المريضة في قبول الشروط ولكنها هي قبلت بها لان المرض كان منعها المنام والراحة فما زالت تلحّ عليهم حتى قبلوا وكان شفاؤها في ذلك الدواء ، ولم يكن الا الدقيق والسكر والماء .

عرف الناس تأثير قوة الاعتقاد الوهمي فضربوا لها المثل «لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه» ويظن بعض العامة ان هذا حديث لأنه مؤد للمعنى العام بعبارة وجيزة وبذلك امتازت الاحاديث النبوية.

ثم ان الجهل بأمور الدين والدنيا معاً فسره لأهل هذا العصر بغير معناه وان شئت قلت بنقيضه فهم يزعمون ان فيما يعتقد — وإن حجراً — نفعاً حقيقياً ثابتاً له لاينفك عنه، فهم يتمسحون ببعض الاحجار، ويتعلقون ببعض الاشجار، ويتبركون بمياه بعض الآبار، ويعتقدون ان فيها خواص تشفي الامراض، وتقضي الحوائج والأغراض، ثم إنهم يلصقون ذلك بالدين ورجالاته، ويعدونه من دلائل صدقه وآياته، ويغفل أهل كل ملة عن مشاركة أهل الملل الأخرى لهم فيما يدعون، واستدلالهم بمثل مايستدلون،

كتبنا غير مرة فى مفاسد الاعتقاد بهذه الجمادات والاشجار كعمود الرخام فى المسجد الحسيني وباب المتولي وشجرة الخنفي ونعل الكلشني وغير ذلك، ولم ينس قراء المنار بل أهل مصر كلهم ما كان منذ سنتين ونيف فى المسجد الحسيني من الجلبة والضوضاء فى آخر الدرس الذي كنا نلقيه هناك اذ نهينا الناس عن التمسح بالعمود الذي يسمونه عمود السيد استشفاء به وطلباً للبركات منه فاحتج علينا بعضهم بالمثل الذي جعله الجهل حديثاً نبوياً ولما بينا لهم معنى المثل وكونه غير حديث وأنه لو كان حديثاً وكان معناه زعموا لكان حجة على نفع عبادة الاصنام قبل ذلك الجماهير وكان في الصفوف البعيدة من حاضري الدرس من لم يفهم القول فطفقوا يتساءلون: ماذا قال فى الحديث ماذا قال في الحديث: فاجاب بعض الذين وعوا القول بالصواب ودس بعض المرجفين أقوالا كانت مثار اللغط والضوضاء كقولهم انه أنكر حديث رسول الله (بمعنى كذبه) وقولهم انه قال ان سيدنا الحسين سنم لاينفع ولايضر وأمثال ذلك

أليست هذه الفتن والبدع والعقائد الفاسدة المفسدة للعقول والارواح ناشئة كلها عن الاعتقاد بهذا النوع من الخوارق الوهمية التي دخلت في الدين من تلك الاقاويل التي أثبتها مثل الناج السبكي من غير بينة ولا بيان، ولا حجة ولا برهان، الا زعم فلان ودعوى فلان، ؟ بلى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا وجه من وجوه تعليل ماتقل فى هـذا النوع وهو معقول مقبول وعليه أكثر العقلاء . وبقى وجه آخر يقول به بعض الناس فى بعض الوقائع — ونعني بالناس أهل العلم والبحث — وهو تأثير النفس فى النفس ويعبر عنه الصوفية بتأثير الهمة ويثبتونه لغير المسلمين حتى الوثنيين وهو ثابت عند حكماء اليونان والعرب وغيرهم وحكى ابن خلدون وقائع منه .

معهود عند جميع الناس رؤية أشخاص يرفعون قنطارا (مصريا) عن الارض وقلّ من رأى بعينه أشخاصا يرفعون عدة قناطير فاذا قيل لهؤلاء ان قيصر روسيا السابق كان يأخذ كرتين من الحديد كل منهما عدة قناطير ويقذفهما فى الجو واحدة بعد أخرى ثم يتلقى كل واحدة بيد قاذفا إياها فى الجوّ ويعيد ذلك المرة بعد المرة زمنا طويلا — ينكر أكثر المعروفين بالعقل والروية هذه الرواية لان فى الناس المولع بانكار الغرائب التي لايعهد مثلها كما ان منهم المولع بنقل الغرائب التي لايعهد لها نظير .

ويعهد جميع الناس ان يروا حزينا فتؤثر فيهم حالته حتى يمتعضوا وربما بكى فأبكى ويعهد قليل من الناس من تأثير بعض الوعاظ ماتوجل له القلوب وتذرف منه العيون ويحمل كثيرا من الناس على الرجوع عن حال الى حال ، وعلى الخروج من العقار والمال . وليس هذا تأثير الكلام خاصة وإنما العمدة فيه على تأثير النفس . وقد كان بعض الوعاظ الصالحين يعظ فيتوب قوم ويبكي ناس ويموت آخرون فقيل له ان فلانا أفصح منك في التذكير لسانا ، وأوضح بيانا ، فما بال كلامه لايؤثر ، ولا يستتيب ولا يستعبر ، فقال : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة : يريد ان التأثير بالحال ، لا بزخرف القال . — واذا قلت لهؤلاء الناس ان فى الناس أفرادا لهم قوة نفسية ، وهمة روحانية ، اذا وجهوها الى نفس أخرى فانها تؤثر فيها التأثير الذي يريدونه متى صح التوجه ينغضون رؤوسهم وينكر اكثر أهل البحث والروية هذه الرواية . واذا دام أهل العلم في الغرب على بحثهم في الامور الروحية فان هذه المسألة تثبت عندهم بالتجربة التامة . وكما يكون هـذا التأثير فى شفاء المرضى يكون فى إحداث الامراض ولبعض الناس فى كل أمة استعداد قوي له اذا استعملوه زاد قوة وتأثيراً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شبهات النصارى وحجج المسلمين

(تتمة الكلام في الشبهة الثانية على القرآن)

(الشاهد الرابع) زعم المعترض ان ما في سورة المؤمن من ان موسى أرسل الى فرعون وهامان وقارون يدل على ان قارون من قوم فرعون فهو مناقض لقوله تعالى في سورة القصص « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم »

ونقول في الجواب ان كون قارون من قوم موسى مجمع عليه عند المسلمين سلفهم وخلفهم كما قال ابن عطية وقالوا انه من ذوي القربى لموسى عليه السلام ولكنهم اختلفوا في جهة القرابة فنقل عن ابن عباس وغيره انه كان ابن خالته وقيل غير ذلك مما لا يعنينا ولم يفهم أحد من العرب ولا ممن بعدهم من أهل اللغة ما فهم هذا النصراني في آخر الزمان

قال تعالى في سورة القصص ان رجلا اسمه قارون كان من قوم موسى وكان طاغيا بطرا بماله فبغى على قومه بني اسرائيل فأنذروه عاقبة البغي ونصحوا له بأن يبتغي بماله الدار الآخرة الى ما يتمتع به من الدنيا فلم يقبل وكل هذا يدل على أنه كان كافراً طاغياً جاحداً من قوم سبق لهم إيمان وكتاب . وقال في سورة المؤمن انه ارسل موسى الى فرعون وهامان وقارون فذهب بعض المفسرين الى ان قارون هذا كان مصريا وكان قائداً لجند فرعون وذهب بعض الى أنه قارون الاسرائيلي ولكنه ذكره مع فرعون ووزيره هامان لانه كان رئيساً باغياً مثلهما وهؤلاء الرؤساء الطغاة البغاة هم الذين يحولون بين الرسل والامم وإنما أرسل الله تعالى موسى لهداية بني اسرائيل كما علم من النص ومن الواقع . ولما كان بنو اسرائيل مستعبدين مقهورين لفرعون وكبار أعوانه كهامان وقارون ابتدأ موسى بدعوة هؤلاء بأمر الله تعالى حتى أراهم آياته وكانت العاقبة إخراج بني إسرائيل من مصر وإيتائهم الشريعة

لا دليل بل لا شبهة على التناقض في قول من القولين — أي مانع يمنع أن يكون هناك قارونان في زمن واحد او زمنين مختلفين فان قارون قوم موسى ذكر ولم يذكر في قصته أن موسى نصح له أو دعاه الى شيء بل جاء فيها ان قومه هم الذين نصحوا له « اذ قال له قومه لا تفرح » الى آخر الآيات فيجوز بل يقرب انه كان بعد موسى . ثم أي مانع يمنع ان يتخذ فرعون لنفسه رجلا اسرائيليا باغيا فسق عن تقاليد قومه وصار

لايهمه الا بيع مصالحهم بما ينفع شخصه ويجعله عونا له على الاسرائيليين ويحكمه فيهم لانه أعلم بدخائلهم. وأدرى بمقاتلهم . أليس من المعهود فى كل زمان أن يستعين الذين يحكمون أقواما غير قومهم بأفراد من أولئك الاقوام يبيعون مصالح قومهم لاحكام الاجانب بالمال والجاه لاشخاصهم فلماذا يستنكر ان يصطنع فرعون لنفسه طاغية من الاسرائيليين يكون واسطة بينه وبينهم فيما يريد من ضروب الاستبداد والاستعباد ؟ ثم اذا فرضنا انه لم يكن عاملا لفرعون ولا صنيعة له وإنما كان أغنى بني اسرائيل وأقواهم سلطانا وأنفذهم شوكة كما تدل عليه سورة القصص أفليس هذا مسوغا لان يذكر مع فرعون وهامان وقداستن بسنتهما. وجرى على طريقتهما . ؟ بلى ولكن الذي يتلمس التناقض في القرآن ، لايظفر الا بمثل هذا الخذلان .

(الشاهد الخامس) زعم ان قوله تعالى فى موسى « فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم » يناقض قوله تعالى «اذ أوحينا الى أمك مايوحى أن أقذفيه في التابوت فاقذفيه فى اليم» فان هذا القذف لم يكن الاهروبا من أن يقتله قوم فرعون فدل ذلك على أنهم كانوا يقتلون الاطفال قبل بعثته.

ونقول فى الجواب أولا ان هذه الآية لم تعلل بهذا التعليل وإنما ذكرت غايتها المقصودة منها بالنص وهي قوله تعالى «يأخذه عدو لي وعدو له» أي ان الغاية من قذفه فى اليم أن يأخذه فرعون ويربيه فيكون من أمره بعد ذلك مايكون . وثانيا ان الامر بقتل الابناء أولا لاينافي إعادته ثانيا لاجل التأكيد والتشديد عند وجود المقتضي . ومثال هذا حاضر بين أيدينا — نظار الحكومة المصرية كانوا نهوا جميع المستخدمين في الحكومة أن يجمعوا مالا لاعانة سكة الحديد الحجازية أو يساعدوا الجامعين وكان ذلك من عدة سنين ثم أعادوا هذا النهي الآن بمناسبة توجه الناس الى الاعانة بعد أمر السلطان بمطالبة المسلمين كافة باعانة اختيارية أقلها خمسة قروش على الشخص وأكثرها غير محدود. وقد ذكرت الجرائد هذا وذاك فهل يقال ان النهي الثاني مناقض للنهي الاول؟ كذلك كان فرعون قد أمر القوابل بأن يقتلن أبناء بني إسرائيل ليقل نسلهم فلما ظهر موسى ودعاه لى اتباعه والى إرسال بني إسرائيل معه أكد الامر الاول وأعاده او أمر بما هو أشد منه وهو ان يقتل الابناء جهرا . هذا الامر موافق لذلك لامناقض له فان لم تناقض أن تكون احدى القضيتين موجبة والاخرى سالبة كقول يوحنا فى الفصل الخامس من انجيله حكاية عن المسيح عليه السلام « ٣١ ان كنت أشهد لنفسي فليست شهادتي حقا » مع قوله فى الفصل الثامن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« ١٤ أجاب يسوع وقال لهم وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق » ارأيت أيها القارئ المنصف لو كان يوجد في القرآن أمثال هذا التناقض ماذا كان يقول ويكتب هؤلاء المجاحدون الذين يسمون الحكاية عن الامر بمعنى الامر تناقضا ويسمون اختلاف القضيتين في الايجاب والسلب توافقا يدل على الالوهية ؟؟

(الشاهد السادس) زعم المعترض ان قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقوله عز وجل « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » مناقضان لقوله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » وقوله عز شأنه « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين » وقوله تبارك اسمه « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »

ونقول في الجواب ان للمعترض بعض العذر أن لم يفهم هذه الآيات حتى توهم أنها متناقضة وان كانوا يقولون ان الذي كتبها أو صححها هو أعلم النصارى بالعربية (الشيخ ابراهيم اليازجي) فان هؤلاء ينظرون في كتاب الله ليعترضوا لا ليفهموا ولو ابتغوا الفهم لفهموا على ان منهم من يفهم ويكابر نفسه ويماري الناس فيقول غير ما يعتقد

معنى الآيات ظاهر وان كان للمفسرين في فهم بعضها وجهان فأما الآية الاولى فمعناها ان كل أمة من الامم المؤمنة بالوحي والانبياء لا تكون آمنة ناجية بمجرد انتمائها الى دين النبي الذي بعث فيها ولكن الناجين منها هم الذين يصح ايمانهم بالله وباليوم الآخر ويكون على وجه الحق ويعملون الصالحات . وهذا حكم لا يعارض كون الدين اختياريا لا إكراه فيه ولا الزام ولا يعارض الاذن بمحاربة المعتدين من الكافرين والمنافقين ولا البغاة من المؤمنين فان الله تعالى أمر بقتال الطائفة الباغية حتى تفيء الى أمر الله

وأما الآية الثانية فمعناها ان الدين يقوم بالدعوة والدعوة تؤيد بالحجة وبيان الرشد في الايمان من الغي في الكفر

وأما الآية الثالثة فمعناها أن الاسلام هو دين الانبياء الذي كان عليه ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ولا يقبل الله تعالى دينا غيره في الآخرة ولم يكن يعنى من الاسلام الذي دعي اليه الناس في القرآن ما سيكون عليه الطوائف الذين يسمون أنفسهم مسلمين كيفما كانت عقائدهم وتقاليدهم حتى المجسمة والباطنية والنصيرية وانما معناه الدين الذي روحه إسلام الوجه (القلب) الى الله تعالى والاخلاص له في العبادة والطاعة كما قال « قفلت أسلمت وجهي لله ومن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اتبعني » وقال « ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » وقال «ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون» فعلم من هذه الآيات وأمثالها ان المراد بالاسلام دين الانبياء من ابراهيم الى محمد عليهم السلام . ولقد كان الانبياء من قبل إبراهيم على دينه ولكن ابراهيم أقدم الانبياء الذين لهجت ذكرهم ولم ينقطع التوحيد من ذريته . وهذا المعنى مطابق لمعنى الآية الاولى مطابقة تامة

وأما الآية الرابعة الآمرة بجهاد الكفار والمنافقين فليس فيها كلمة تومئ الى ان الجهاد لاجل الإكراه على الدين كيف والمنافقون كانوا متلبسين بالدين في الظاهر وكان النبي يعاملهم معاملة المسلمين حتى ان المفسرين قالوا ان الجهاد لا يصح هنا الا اذا كان بمعنى المحاجة بالبرهان فان الجهاد في اللغة ليس بمعنى القتال وانما هو بذلك الجهد في مقاومة شيء ولذلك أمرنا بجهاد أنفسنا اي بذل الجهد في مقاومة شهواتها . ويصح ان يكون الامر بجهاد الكافرين والمنافقين معا بمعنى مقاتلتهم اذا كانت الآية نزلت في مثل غزوة الاحزاب التي اتحد فيها طوائف المشركين مع اليهود والمنافقين من الفريقين على استئصال المسلمين وفيها هدد الله المنافقين بقوله «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا»

نعم ان القتال شرع في الاسلام لمقاومة المعتدين وتأمين المؤمنين الذين كانوا يفتنون عن دينهم في أنفسهم وأهليهم ويدل على كونه مأذونا فيه للضرورة الآيات الواردة فيه . أول هذه الآيات نزولا آية السيف وهي قوله تعالى «أذن للذين يقاتلون (بفتح التاء) بأنهم ظلموا (بضم الظاء) وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز . الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » ولا تنس قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »

وأما الآية الخامسة وهي قوله تعالى «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » فهي مطابقة لهذه الآيات وللمعنى الذي قلناه في حكمة الإذن بالقتال أي قاتلوا هؤلاء المعتدين عليكم لانكم مؤمنون والذين يفتنونكم عن دينكم ليردوكم الى دينهم ان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استطاعوا حتى تزول هـذه الفتنة والاعتداء لاجل الدين ويكون الدين خالصا لله لايكره عليـه أحد ولا يفتن عنه أحد أي ليتوفى الاكراه بالالزام به والارجاع عنه وتكون الدعوة اليه أمينة لتظهر الحجة، هذا هو معنى الآيات لايقبل تأويلا وهي محكمة يؤيد بعضها بعضاً

(الشاهد الثامن) زعم المعترض ان قوله تعالى حكاية عن المسيح « والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » مناقض لقوله « وما قتلوه وما صلبوه » ـ الى قوله « بل رفعه الله اليه » والجواب ان الله تعالى ذكر في آية أخرى ان الرفع يكون بعد الموت وهي قوله « ياعيسى إني متوفيك ورافعك اليّ » فنفي القتل والصلب لايستلزم نفي الموت بل جرى عرف اللغة على ان لايعبر بالوفاة والموت عن القتل والصلب بل عمن يموت حتف أنفه . وبهذا وما قبله تبين ان شواهد المعترض على تعارض القرآن وتناقضه ظاهرة البطلان ويبعد ان يكون مثل ذلك المؤلف (الانكليزي) والمصحح (الشامي) والناقل (القبطي البروتستنتي) معتقدين بها وانما هم سيئوا القصد يحبون ان يشككوا عامة المسلمين في دينهم ليجذبوهم بحبال الاوهام الدنيوية الى ذلك الدين الذي يضم الشاكين والملحدين ، ويؤلف منهم عصبية لمقاومة المسلمين .

القسم العمومي

نظام الحب والبغض ـ تابع ويتبع

(١) الأنسان يحب ذاته ـ قضية يؤيدها الحس وبها تعالى كل اعماله وكل محبته ومن محبته لذاته تحمله الأتعاب العظيمة والآلام الشديدة في العاجل لأمله ان تبقى ذاته وتنال خيراً في الآجل . وهذا أعظم الأمثلة لمحبة الانسان ذاته .

(٢) حب الذات في أصله طبيعي ونافع ـ هذه المحبة تخلق مع الانسان من قبل ان يعرف نفسه وغيره ، ومن قبل ان يعرف النافع والضار . والدليل على ذلك انه منـذ يبدأ ان يعرف النافع والضار من طريق الحس يبدأ ان يحب مرضعته قبـل سواها . وهل يقتـدر أحدان يعلل محبـة الطفل لمرضعته بشيء غير طبيعي ؟ وهل ذلك الشيء الطبيعي أمر غير محبة الأنسان ذاته بحسب الجبلة؟ ولا ريب في ان هذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشيء الطبيعي نافع لازم . أما كونه لازماً فقد يدلنا عليه كونه طبيعيا لانه من المجرب عند قراء سنن الوجود ان الشيء متى كان وجوده لازماً من اللوازم العامة كان طبيعيا وأما كونه نافعاً فلأنه الأساس الأعظم في حفظ الشخص وبقاء النوع . وستأتون على تفصيل هذا الاجمال مرات كثيرة . ومن المجرب المحقق ان محبة المرء ذاته تنمو فيه على التدريج منذ طفوليته الى ان تكمل رجوليته . ونفعها ينمو على هذا الوجه وأعظم آثارها شيئان طبيعيان متضادان تنشأ عنهما آثار متضادة أيضاً . هما شهوة تجذب ، وغضب يدفع .

(٣) ذات غيرنا كذاتنا ، فلا بد من حد في الحقوق لنا ولغيرنا ، فحب الذات له حدود — قل ان نجد قضية مستغنية في ذاتها عن قيود وشروط فقولنا « محبة الذات نافعة » قضية لاتسلم من الجرح الا اذا ساعدناها بشرط وقيدناها بقيد . وهذا الشرط مشروح بكلمة « ذات غيرنا كذاتنا » وتوضيحه اننا اذا لم نضع لذاتنا حدا لايضع غيرنا لذاته حدا . فما نطلبه لذاتنا يطلبه غيرنا لذاته . ويظهر من هذا ان محبة الذات لاتكون نافعة الا اذا كانت تابعة لنظام وواقفة عند حد . وينتج ذلك ماترى :

(٤) اذا تجاوزنا الحدود في حب الذات صار ضارّا . كيف لا وجميع مانسميها شروراً انما منشأها مجاوزة الحدود في محبة الذات لأنه لامعنى للشر الا الاعتداء على الحقوق . وهل هذا الاعتداء شيء غير مجاوزة الحدود ؟ ولا فرق بين ان تكون أنت المعتدي على غيرك لأجل ذاتك . وان تكون يعتدي عليك غيرك لأجل ذاته فالأول شر لانك لاتسلم فيه من جزاء ما وقد يكون الجزاء طبيعياً كجزاء الشره . والثاني شرّ لانك فقدت حقك لأجل شره غيرك فيه .

الصنعة بديعة كاملة اتقنها حكيم عليم قد جعل لكل شيء سنة ، ناموساً ، طبيعة خاصة . نظاما (قل ماشئت ان تقول وسم ماأردت ان تسمي . لاتناقش باحثاً في لفظ يؤدي الى معنى يؤديه لفظك أو قريباً منه) مزج ماتبتغيه النفس بما تنفر منه ، وعلمها السبل في الوصول الى المبتغى ، وجعل للسبل حدوداً عن يمين وشمال . فمن تعدّى الحدود . فاته المقصود . وربما وقع في المكروه ، ومن لم يتعدها فاز ونجا ، وتم له الرضى . « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

(٥) اذا لم نحب غيرنا لانقدر أن نقف عند الحدود . — اذا كان لكل داء دواء فلا علاج لداء الشرور الا محبة الناس محبة تابعة لنظام . وهذا العلاج لايتخلف نفعه

www.alukah.net

أي انه متى استعمل ينفع . فنحن نستطيع ان نقول ان هذا العلاج يستأصل الداء لمن استعمله ولكن لانستطيع ان نقول إنه يم استعماله وتستأصل الشرور كلها . وليس هذا مستحيلا عقلا ولكن التجربة تجعلنا لانطمع فيه على اننا اذا لم نرج ان تستأصل الشرور نرجو ان نخف ونجتهد في ان نعلم الناس محبة الناس . كذلك كان الناس من قبل فهدى العلم بعضاً ببعض ، كما أضل الجهل بعضاً ببعض ، ولايزال العلم يجاهد الجهل الى ان ينصره الملك القدوس السلام ، على أيدي رجاله الاعلام،

«٦» اذا لم نحب ذاتنا لانقدر ان نحب غيرنا ــ من لطف العناية الأزلية ان كان استعمال هـذا العلاج سهلا اذ ثبت فى الفطرة ان من لوازم محبة الذات محبة الغير . فلا جناح علينا أن كان حب غيرنا لأجل ذاتنا لأن هذا هو العلاج فى محبة الغير وهذا الثاني هو العلاج فى تخفيف داء الشرور . ولكن الجناح علينا اذا لم نتبع نظاما في محبة الذات ومحبة الغير . وهنالك الشر .

«٧» بغض الذات مرض . ــ يظهر مما تقدم ان لمحبة الذات نفعين أحدهما يرجع الى الذات والآخر يرجع الى الغير . وينتج ان لبغض الذات ضررين أحدهما للذات والآخر للغير . واذا ثبت هـذا فلا شـك في ان بغض الذات مرض مشوه للفطرة السليمة . وشائن لصاحبه يؤديه الى نوع رديء من أنواع الرذائل واثم كبير من الآثام التي يناقش عليها المجتمع .

مبغض ذاته بالطبع يبغض غيره ، وتكثر حيرته ، يعترض على الصانع الحكيم في صنعته ، وعلى الانسان العليم فى علمه ، عاطل معطل ، طائش معليش ، غر مغرر ، مخبول مخبل ، ناقم على الأحياء ، متأفف من الحياة ، جان على الاجتماع ، قليل الرغبة ، قليل الرهبة ، قليل الحياء ، قليل المروءة ، قليل الغيرة ، عديم الهمة ، عديم النشاط ، عديم الفلاح ، عديم السعادة . . وان شئت ان تعرف مبغضي ذواتهم فأولئك هم مخالفو الفطرة التي فطرت عليها النفوس ، وأذعنت لحكمتها العقول . أقول هذا ولا أزيدكم شرحا لتقدحوا زند ذكائكم ، وتعلموا من أشرنا اليهم بصفاتهم متى رأيتموها فى انسان . وزيدوا عليهم طوائف المستعبدين

هـذا وقد نسأل ويقال لنا: لماذا نرى بعض الحكماء قد يوصون ببغض الذات .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويأمرون بمنابذة الذات المشروعة وإيثار الآلام ؟ فالجواب :

(٨) قد يكون هذا المرض نافعاً اذا سلمت به النفوس من الشرور كما اذا كان امرؤ لا يملك ان يتزوج ويريد ان يستعمل قوة باهه في غير ما خلق لأجله كوطء بهيمة أو دبر أو استمناء بيد أو تسلط على عرض فيه حق الغير يؤمر في هذه الحالات ان يجوّع نفسه لتضعف قوة باهه فإن فسرت تجويع نفسه ببغض ذاته وسميت هذا البغض المتعمد لحكمة مرضاً قلنا ان هذا المرض لمثل هذه النفس نافع * وربما عدت الأجساد بالعلل * وان سميت هذا التجويع حمية أو علاجا فلا اشكال . وكما اذا كان يكنز النقود الكثيرة لا يتاجر بها ولا ينفق منها على نفسه يؤمر ان ينفقها على غيره ولو افتقر لان حاله قبل الانفاق على غيره هي عين حال الفقراء فالفقر بعد الانفاق قد تسلم به نفسه من شر عظيم مؤلف من الجهل وبغض الغير وهو كنز تلك الحجارة التي لا معنى لها الا المبادلة وتسهيل معاملات الناس . وكما اذا كان كثير الاعتداء على النفوس يقتلها ويؤذيها يؤمر بالتوبة وتسليم النفس للقصاص . وهل من معنى لتسليم النفس للقصاص غير بغض الذات ؟ وليس يرتاب أحد بأن من كان كثير الاعتداء على النفوس اذا مرض ببغض الذات الى درجة يسلم بها نفسه للقصاص كان مرضه نافعاً له ولغيره . وأمثلة هذا كثيرة قيسوا على ما ذكرت ما يظهر لكم .

(تنبيه مهم) اذا قلنا : ان الله أحب الينا من أنفسنا يجب علينا ان نفهم معنى هذا الكلام حتى نكون على بينة وصدق مما نقول والا كان كلاما يراد به تزكية النفس بمجرد إيراد حروفه . وسيأتي نحو من تفسير هذا الكلام أو تفسيره ولكن أحببت ههنا ان أبادر الى كلمة واحدة من تفسيره قد تغني الأذكياء . وما هذه المبادرة الا لان هذه الكلمة من علائق الصدد : ان معنى محبة الله اتباع الحدود ورعاية حقوق الغير وبذل وسع النفس في هذا الشأن وكل فروعه . وليس من بغض الذات تجريعها الصبر في هذه السبيل الحميدة البالغة بها أسنى المقامات وأسمى السعادات . بل هو من محبتها فاذا أحببت معلمك أكثر من محبتك لنفسك لا تكون أبغضت ذاتك بل أحببتها حباً جعلك تحب كل ما يرقيها ويصلح شأنها حباً شديداً .

(٩) متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة . هذه المسألة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كنتيجة لما تقدم وكفاتحة لما يأتي لان كل علوم الناس وأعمالهم وأقوالهم مقصود بها تحصيل السعادة التي هي فائدة هذه الحياة عند القائلين بوجود السعادة. وعلم النفس في انفرادها واجتماعها هو العلم الوحيد الذي يهدي الحائر في هذه المهامه. وعندنا ان السعادة موجودة ممكن تحصيلها ومن السعادة اعتقاد وجودها وهذا المبحث المهم يحتاج فضل بيان أما ههنا فاكتفي بتقرير هذه القاعدة لتحفظ في الذهن وتتوجه النفس الى شرحها وهي : « متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة » لان سعادة النفس في أحوال ثلاث — تصورها وطلبها وفوزها — فمتى كان التصور صافيا سليما قوياً التذت النفس وانبعثت للطلب ومتى كان الطلب مشروعا نظامياً التذت النفس وأشرفت على الفوز فان فازت فذاك هو وان لم تفز فسعادتها انها لم تقصر في الطلب على ان الطلب في نفسه لذيذ وفي الاكثر يفيد فائدة ما مما تبتغيه النفس اذا جدّت وثبتت.

وقل من جدّ في أمر يحاوله ولازم الصبر الا فاز بالظفر

هذا — والفكر السليم هو الذي يميز بين الخير والشر والنفع والضر. ..(ع.ز)

﴿ تحريم الخنزير ونجاسة الكلب ﴾

حضرة الاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أتيت بهذه المقالة راجيا نشرها في مجلتكم الغراء حتى تتبين للناس الحكمة في اعتبار الشريعة الاسلامية أن الكلب نجس وفي تحريمها لحم الخنزير معتمدا فيما أقول على المباحث العلمية الطبية الحديثة التي أثبتتها التجارب الحسية حتى لا يبقى عند أحد ريب في صحة ما أتت به هذه الشريعة الغراء والعمل بموجبه فانها أحكم من أن تضع حكما عبثا وأجل من أن تسن قانونا لا فائدة للناس فيه ومهما خفي سببه في بادئ الامر فلا بد أن تجلي فائدته عاجلا أو آجلا فأقول:

لتحريم لحم الخنزير أسباب كثيرة أجلها ثلاثة قبل ان أتكلم على هذا السبب الاول يجب أن أقدم مقدمة في علم الديدان حتى لا يعسر على أحد فهم ما أقول.

(الأول ومقدمته) قد يوجد في أمعاء الانسان عدة أنواع من الديدان قل ان يخلو منها أحد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومضار هذه الديدان متفاوتة فمنها ما ضرره عظيم ومنها ما ضرره حقير ومن هذه الانواع ما يسمى بالديدان الشريطية . أذكر منها الدودة الوحيدة بتفصيل يسير لأن لها صلة بموضوعنا وأشير الى غيرها فيما بعد . تسمى هذه الدودة (تينيا سوليم) وهي كلمة يونانية ومعناها الشريط الوحيد سماها الواضع بهذا الاسم لظنه انه لا يوجد منها في الامعاء الا واحدة فقط وهذا خطأ فقد يوجد منها أحيانا اثنان أو ثلاثة وطولها يختلف من ٧ أقدام الى عشرة وهي مقسمة الى عدة أقسام تبلغ ٨٥٠ وفي الاقسام الخلفية توجد أعضاء التناسل فتجد ان كل قسم منها فيه أعضاء الذكر والانثى فاذا تمت هذه الاعضاء وظيفتها وتكونت البويضات في داخل الرحم انمحت الاعضاء الا الرحم فتبقى البويضات محفوظة فيه فاذا سقطت هذه الاقسام المشتملة على البويضات من دبر الانسان وقت التخلي كما يحصل كثيراً ان كان مصابا بها ووصلت هذه البويضات الى معدة الخنزير أثناء تقممه القاذورات وأكلها ذاب قشرها بواسطة العصير المعدي وخرجت الاجنة فتثقب الغشاء المخاطي للمعدة وتصل الى أوعية الدم الذي يحملها الى العضلات وغيرها وهناك تنتقل الى طور جديد تصل به الى تمام نموها وهذا الطور هو أن تكون هذه الاجنة حويصلات صغيرة واحدة ما قدر حجم الحمصة في داخل اللحم وبعد ذلك يبرز في داخل هذه الحويصلات هنات مخروطية الشكل كل هنة منها رأس لدودة جديدة فاذا أكل انسان هذا اللحم خرجت هذه الرءوس من حويصلاتها وعلقت بالغشاء المخاطي للامعاء وكونت كل واحدة دودة طويلة تامة النمو وتسبب من وجودها في الامعاء أعراض كثيرة فيحصل للمصاب بها مغص أو اسهال أو قيء وربما صار نفسه كريه الرائحة ويصاب بالإقياء (فقد شهوة الطعام) أو انهم الشديد وتصاب بآلام في رأسه أو دوار او إغماء ويشعر بضعف عام في جسمه وتضطرب أذكاره وأحيانا تنتابه نوبات صرعية وتشنجات عصبية قوية. وليس هذا كل الضرر الذي ينشأ عن هذه الدودة بل هناك خطر آخر عظيم وذلك أن بعض الاقسام قد يتلف وهو في الامعاء فيجرح البويضات مع البراز فاذا أصابت ملابسه أو يده أو غير ذلك ووصلت الى معدته أثناء أكله أذاب العصير المعدي قشورها وخرجت الاجنة وتطورت بذلك الطور الذي ذكرناه في الخنزير فتكون الحويصلات المذكورة سابقاً في أعضائه. وكثيراً ما تصيب عينه فتلفها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو بعض أجزاء مخه فتفسدها وتبطل عملها فيحصل له شلل فى بعض أعضائه أو غير ذلك مما يتسبب عن اصابات جوهر المخ وقد تصيب أعضاء أخرى فتعمل فيها ماعملته في العين والمخ ويصير الانسان منبعا لعدوى غيره فاذا صافح آخر وانتقلت اليه البويضة تعمل فيه ما عملته فى الاول . وكثيرا ما يتخلى أهل الارياف وغيرهم في المزارع أو في مياه الشرب فتنقل بسبب ذلك الحويصلات الى أناس كثيرين ولولا الخنزير لما أصاب الانسان شيء من ذلك فانها لاتوجد في حيوان يؤكل سوى الخنزير وقد توجد فى الكلب أيضا والقرد

واعلم أنه لا توجد دودة تتم طور الحويصلات في الانسان سوى هذه وأخرى نذكرها فيما بعد وحويصلات هذه الدودة تقاوم الحرارة في درجة ٦٠ سنتجراد نحو نصف ساعة على الاقل اذ كانت توجد فى داخل لحم الخنزير وهو موصل رديء للحرارة فاذا غلي الماء الذي حوله أثناء الطبخ حتى صارت درجته ١٠٠ فلا تصير درجة مافي داخل اللحم ٦٠ أو ٧٠ الا بعد زمن ثم ترتفع شيئاً فشيئاً حتى تصير ١٠٠ ولهذا تجد أن كثيراً من الاروبيين يصابون بها وذلك لصعوبة قتلها بالحرارة وكلما ازداد الانضاج للثقة بقتلها عسر هضم اللحم لتجمد المواد الزلالية

هذا ولما كان اختيار أخف الضررين هو الواجب عند الاحتياج الى ارتكاب أحدهما ولا يخلو لحم من مضار وجب ان نختار ماهو أخف أذى . قلت ذلك لان الحيوانات الاخرى المأكولة كالضأن أو غيره لاتخلو من ديدان أخرى شريطية كالسابقة من ذلك دودة (تينيا ساجينيتا) التي توجد حويصلاتها في البهائم التي تؤكل ولكن هناك فرقا بين هذه وتلك لأن الحويصلات في هذه اذا وصلت الى معدة الانسان وتكونت منها الدودة التامة وفيها البويضات فلا يمكن اذا ازدرد الانسان البويضات ثانيا ان تكون طور الحويصلات فيه مطلقا . لأنه لا يعمل ذلك الا دودة الخنزير وبذلك يكون الانسان مطمئنا على عينه وعلى مخه وغير ذلك من الاعضاء الرئيسة ولا يكون منبعا لعدوى غيره وذلك لأن هذه البويضات يلزم لها حيوان آخر غير الانسان حتى تتم طور الحويصلات فيه وبعد ذلك تنتقل منه الى الانسان فتكون فى امعائه الدودة التامة البالغة النمو وفي الحقيقة ان أعظم الاخطار هو تكون الحويصلات في أعضاء الانسان الرئيسة وأما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في الامعاء فربما لاينشأ عنه شيء مضر به وإذا حصل بعض الاعراض التي ذكرت كالقيء والاسهال والصداع فازالة الدودة بكثير من الادوية سهل جدا ولكن ازالتها وهي في طور الحويصلات من المخ وغيره عسير بل مستحيل. وياليت هذا هو ضرر الخنزير الوحيد بل هناك مضار أخرى فاسمع الغرائب الآتية

(الثاني) كثيراً مايأكل الخنزير الفيران الميتة التي كثيرا ماتكون عضلاتها محلا لأجنة دودة تسمى (تريكينا اسبايرالس) أي الشعرة الحلزونية لانها دقيقة جدا وملتوية على شكل حلزوني فاذا وصل هذا اللحم الى معدة الخنزير هضم وخرجت الاجنة من غلافها فتكبر وبعد ذلك تتزاوج ذكورها وإناثها فتلد ديدانا صغيرة كثيرة وهذه تثقب أغشية الامعاء المخاطية وتصل الى عضلات الخنزير فاذا أكلها انسان ولم يكن قد عرضها بالطبخ لحرارة كافية لإماتتها نمت في أمعائه الى ان تلد أجنة كثيرة تنفذ الى عضلات الانسان وخصوصا عضلات التنفس وكذلك القلب وحينئذ يصاب بمرض شديد فترتفع حرارته ويعتريه اسهال وقيء وتلتهب جميع عضلاته فلا يقدر على تحريكها ويصير لمسها مؤلما فلا يمكنه ان يمضغ أكله فيمتنع عنه ويصعب عليه أن يتنفس لالتهاب عضلاته ولا يقوى على تحريك عينيه وبعد ذلك يحصل له ارتشاح في جميع جسمه فيرم وتسرع حركات نبضه وحركات تنفسه بطيئة جدا حتى يموت. وهذه الاعراض لايمكن علاجها مطلقا إذ لايمكن إزالة هذه الديدان من عضلاته بعد تحصنها فيها. وهذا المرض كثيرا مايحصل في البلاد الاوروبية بسبب أكل هذا اللحم المشئوم ولا يتسبب عن أكل لحم سواه كالضأن وغيره لانها لاتأكل الفيران الميتة الا اذا ألقي في غذائها أو وقع فيه بالاتفاق وأكلته بالتبع له فحينئذ تصاب بما يصاب به الخنزير ولكن هذا نادر جدا والنادر لاحكم له بخلاف الخنزير فان حبه للفيران الميتة يوقعه في ذلك مراراً عديدة ولعل هذا السبب أيضا هو أحد الحكم في تحريم لحوم الحيوانات التي تأكل اللحم لأنها عرضة للاصابة بهذا المرض كثيراً

(الثالث) لحم الخنزير هو أعسر اللحوم هضما باتفاق وذلك لان أليافه العضلية محاطة بخلايا شحمية عديدة أكثر من الحيوانات الأخرى المباح أكلها وهذه الأنسجة الدهنية تحول دون العصير المعدي فلا تسهل عليه هضم المواد الزلالية للعضلات فتتعب المعدة ويعسر الهضم ويحس الانسان بثقل في بطنه ويضطرب القلب فان ذرع الآكل القيء والا تهيجت الأمعاء وانطلق البطن بالإسهال فمن لم يتعود أكله تعب منه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كثيراً ومن تعوده وكان قوي المعدة كان الاولى له صرف قوتها فى الاغذية الجيدة النافعة وان لم يكن قوي المعدة ناله من شر هذا اللحم مايستحق

والخلاصة ان من ابتعد عن أكله أمن من الاصابة بالدودة الوحيدة أو حويصلاتها ولم يكون سببا فى عدوى غيره وسلم من الاصابة بمرض دودة الشعرة الحلزونية الذي ربما فاق الحمى التيفودية فانه من أصابه لايرجى شفاؤه ولابد من موته وحفظ معدته من التعب وعسر الهضم وأسباب القيء والاسهال وضعف تغذية الجسم الى غير ذلك من المضار التي سبق شرحها . أما اللحوم الاخرى فانها أسهل هضما ولا يتسبب عنه عادة مرض الشعرة الحلزونية ولا حويصلات فى أعضائه الرئيسة يتلفها وان نشأ عنه دودة شريطية فعلاجها سهل ولاتحدث أعراضا مهمة. فعلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين يجب ان نقول: لاتأكلوا لحم الخنزير فانه رجس وكلوا غيره مما أبيح شرعا.

الدين الاسلامي لم يأت لاصلاح الروح فقط بل لاصلاح الروح والجسم معا فأتى بما ينفعنا فى دنيانا وآخرتنا وانفسنا وأبداننا ولم يترك ضارا لاحدهما الا ونبه عليه تصريحا أو إجمالا على حسب شيوعه وعدمه بين الناس فلو ترك التكلم في المأكولات ونحوها لما كان مرشداً للانام في جميع أحوالهم الضرورية فلو لم يحرم لحم الخنزير مثلا لمضى زمن طويل حتى يهتدي الناس الى ضرره ولو اهتدى اليه بعض الامم لما اهتدت اليه الامم الاخرى كالسودان والحبشة مثلا ولو علم ضرره بعض الامم لما علمه فيها الا الخاصة فقط ويمضي الزمن الطويل حتى تعلمه العامة ولو علمته العامة لما قويت على ترك ماعتادته وعهدت اللذة فيه بخلاف الامر الديني فان كل الامم المؤمنة به تخضع له فى أقرب وقت تخضع له العامة كما تحترمه الخاصة ويعمل في نفوس الجميع مالا يعمله قول الخطباء ولا نصح النصحاء ولذلك تجد أن شرب الخمر في أوروبا شائع بين سائر الطبقات وكل يعلم ضرره ومع ذلك لايمتنعون عنه لابقول خطيب ولا بقول عالم فكم خطبت الخطباء ونصحت العلماء ولكن أين من يسمع. فلو لم يكن للدين التأثير الاقوى فى أهل الشرق لفاقوا أهل الغرب فى الشرب وسبقوهم فى تربية الخنزير وأكله ولولا أنهم أخذوا يقلدونهم الآن لما وجدت بينهم شارب خمر ولا آكل خنزير الا نادرا ولما سمعت بمرض مما ينشأ عنهما فيهم. فأي انسان يمكنه الآن ان يعترض على الدين ويقول «ماله يتكلم فى المأكول والمشروب» وقاته انه لم يأت الا للاصلاح العام فى كل مايمكن اصلاحه فلم يتكلم في العقائد فقط بل في المعاملات أيضا وكما أمر باصلاح القلب وطهارته أمر بحفظ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صحة الجسم ونظافته فأنعم به من دين جمع فأوعى وأحكم به من صراط سوي مستقيم

بقي علينا أن نتكلم في نجاسة الكلب : لانقول ان السبب فى ذلك هو انه عرضة للاصابة بداء الكلب فان هذا الداء لايصاب به الكلب وحده بل قد تصاب به الهرة والبقرة والحصان وغيرها ومتى أصيب الكلب به عرفه الناس وقتلوه فانه متى أصيب به شل سريعاً عن الحركة وسهل قتله ومجرد لمسه فى هذه الحالة لايعدي بل لابد من العض ودخول لعابه فى جلد الانسان فلماذا يعتبر الكلب نجسا في جميع أحواله ولاتعتبر البقرة والحصان كذلك ؟ السبب فى ذلك ما يأتي : في أمعاء أكثر الكلاب دودة شريطية صغيرة جدا طولها ٤ ملليمترات تسمى (تينيا ايكينوكوكس) فاذا راث الكلب خرجت البويضات بكثرة في الروث فيلصق كثير منها بالشعر الذي بالقرب من دبره فاذا أراد الكلب أن ينظف نفسه بلسانه كما هي عادته تلوث لسانه وفمه بها وانتشرت فى بقية شعره بواسطة لسانه أو غيره وهذا مايحصل فى كل نوبة وبتكراره يصير جميع سطح جسمه ملوثا بهذه البويضات كما شوهد ذلك بالنظارات المكبرة

فاذا ولغ الكلب فى إناء أو شرب ماء أو قبله انسان كما يفعل الافرنج أو لمس جسده بيده أو بلباسه علقت بعض هذه البويضات بتلك الأشياء وسهل وصولها الى فمه أثناء أكله أو شربه فتصل الى معدته وتخرج منها الاجنة فتثقب جدر المعدة وتصل الى أوعية الدم فتصل الى أعضاء الجسم الرئيسة وغيرها وهناك تتم طور الحويصلات ولكن هذه الحويصلات كبيرة فتسمى هنا أكياسا وهي تصيب الكبد كثيرا وأحيانا تصيب الاعضاء الاخرى كالمخ والقلب والرئة ووجود هذه الاكياس يحدث اعراضاً عديدة فايصيب منها الكبد قد يولد استسقاء زقيا بضغطها على الوريد الباب أو يرقانا وقد يتقيح السائل الذي في قلب الكيس ويولد خراجا فى الكبد وربما انفتح هذا الخراج في تجويف البريتون فينشا عنه التهاب بريتوني حاد فيموت الشخص بسببه واذا انفتح فى تجويف البلوري تسبب عنه التهاب مع انسكاب الى غير ذلك من المضار واذا حصل هذا الكيس في المخ نشأ عنه صداع شديد وقيء متوال وفقد شعور واحساس وتشنجات وشلل بعض الاعضاء على حسب موضعه من المخ واذا أصاب القلب ربما كان سببا في عزقه فيموت الشخص في الحال

كل هذا قلناه ليس تخيلات شعرية ولا تصورات وهمية بل هي أشياء شاهدها أطباء اوربا في بلادهم وعلموا سببها بالحس والمشاهدة ونصحوا الناس بالابتعاد عن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الكلب ولكن أين من يسمع ولا أمر دينيا يعتقد عندهم فيهم؟ . هذا ولما كان تمييز الكلب المصاب بهذه الدودة من غيره عسير جدا لانه يحتاج الى زمن وبحث دقيق بالمنظار المكبر الذي لا يعرف استعماله الا قليل من الناس كان اعتبار الشارع إياه نجسا هو عين الحكمة والصواب فتبتعد الناس عنه وتأمن من شره فالحمد لله الذي جعل ديننا هاديا لنا في جميع أمورنا وأيده ويؤيده كل يوم بالبراهين الحسية حتى يتضح للناس ان الدين عند الله الاسلام ويظهر تأويل قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد)

م . ت . ص
أحد طلبة الطب بمصر

آثار علمية ادبية

باب التقريظ

ميزان الافكار

كتاب في مهمات القوانين المنطقية وضعه أحمد افندي الهادي المقصودي أحد علماء قزان (روسيا) بأسلوب جديد في اللغة العربية ، وترتيب وتبويب لم يعهدا في كتبها المنطقية ، وادخل فيه فوائد ومسائل ليست من هذا الفن ولكنها تتصل بنسبه ، وتدلي بسببه ، وترغب فيه الباحثين ، وتزيد نشاط المشتغلين ، فقد أصبح المنطق في العلوم العربية ، شبيها بالاعضاء الاثرية ، تقرأ مسائله ، وتهمل في العمل تعاريفه ودلائله ، لان العلوم العقلية التي وضع لها ، قد انطوى بساطها وتقاص ظلها ، بدأ المؤلف كتابه بتمهيد عنوانه (علم الروح وعلم المنطق) وبين بعده فائدة المنطق وكونه فطريا في الانسان ووجه الحاجة الى تعميمه وذكر أشهر علمائه القدماء من اليونان والعرب والمتأخرين من الافرنج ، ثم تكلم في مقدمة الكتاب عن الوجود والعدم والواجب والممتنع والممكن والجوهر والعرض ومقولات الاعراض والعناصر والمواليد والحواس الظاهرة والباطنة والعلم وتحصيله بالتفكر والاستدلال ثم انتقل الى الدلالات ومباحث الالفاظ ثم الى سائر المباحث وجاء فيها بضروب من التقسيم والبحث غير معهودة الا في كتب الافرنج فالكتاب جامع بين المنطق القديم والمنطق الحديث

وقد طبع المؤلف كتابه وجعله ذكرى لمرور عشرين سنة على خدمة اسماعيل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بك القصفري محرر جريدة ترجمان في بلدة (باغجه سراي) الروسية. فنثني على المؤلف ونهنئ رصيفنا الكامل إسماعيل بك بلسان المنار (كما هنأناه بلسان البرق) على خدمته للمسلمين بجريدته ومطبوعاته وبما وفق له من إنشاء المدارس حتى كان ركن النهضة الاسلامية في بلاد القريم بل في البلاد الروسية، ونسأل الله تعالى ان يكثر في المسلمين من أمثاله

﴿ القصائد الهاشميات ﴾

الكميت بن يزيد الاسدي الكوفي أحد الشعراء والادباء الاولين ولد سنة ٦٠ ومات سنة ست وعشرين ومئة وأحسن شعره القصائد الهاشميات التي سارت بها الركبان وقد عني في هذه الايام الشيخ محمد شاكر الخياط النابلسي أحد مجاوري الازهر المجدين بطبعها بعد ماصححها على أمام أهل الادب في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي. ومن سوء الحظ ان عانت المطبعة في ذلك التصحيح فأفسدت فيه ماشاءت ولكنه عاد فأصلح بعض غلط الطبع بالقلم فجزاه الله خير الجزاء. أما الذي طبعه على نفقته فهو الشيخ محمد توفيق الخياط النابلسي أحد المجاورين المجتهدين فنشكر للطابع وللمصحح عنايتهما بهذا الاثر النافع وليتهما يعيدان طبعه مصححاً ونحث طلاب آداب العربية على حفظ هذه القصائد أو كثرة قراءتها

﴿ هناك وهنا ﴾

كان أحمد حافظ افندي عوض كتب في جريدة المؤيد بضع مقالات عنوانها (هناك وهنا) شرح فيها «تاريخ استيلاء انكلترا على الهند وسياستها فيها وعلاقة مسلمي الهند ونهضتهم الاخيرة بالطوائف الاخرى» ومن ذلك الكلام في الجماعات وفي التجارة وفي النفقات الحربية والتعليم. وقد طبعت هذه المقالات على حدتها بمطبعة الشعب فبلغت ٧٦ صفحة من القطع الصغير وهي جديرة بالمطالعة

﴿ القول السديد في حرب الدولة العلية مع اليونان ﴾

كتاب جديد ألفه على بك شاكر نجل المرحوم محمد شاكر باشا الفريق الطوبجي صفحاته زهاء مئتين وهو مزين برسوم القواد والمواقع الحربية ولم نوفق لمطالعة شيء منه ولكننا نظن ان الروح التي تجول فيه هي تعظيم شأن الدولة العلية وتوجيه القلوب الى حبها لأننا نرى المؤلف مغرما بدولته لاهجاً دائماً بمحاسنها ومدح مولانا السلطان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبد الحميد أيد الله دولته ووفقه لخدمة الاسلام . وثمن الكتاب ٣٠ قرشا صحيحاً الا للجنود فثمنه لهم ٢٠ قرشاً وهو يطلب من مطبعة الموسوعات بمصر

هذا ما كنا كتبناه لجزء مضى ولم يتيسر نشره الا في هذا الجزء ثم رأينا في بعض الجرائد ان المؤلف جعل الثمن ٢٠ قرشا لجميع الناس ووعد بجعله إعانة لسكة الحديد الحجازية فصار يطلب لذاته وللإعانة معا وكفى بذلك ترغيباً

(الف ليلة وليلة) أتمت مطبعة الهلال الجزء الثالث من هذا الكتاب مزينا كسابقيه بالصور والرسوم ، منزها عن الفحش والمجون ، وصفحاته ٢١٦ وثمنه ١٠ قروش وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة الهلال بمصر

(كتاب الخدمة المدرسية في تسهيل قواعد العربية) ألف هذا الكتاب جرجس افندي الخوري المقدسي (ب . ع) مدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس الشام وطبع هناك وقد سلك فيه مسلك السهولة واكثر فيه من الامثلة فعسى ان يلتفت اليه نظار المدارس ويختاروه للتعليم في مدارسهم اذا رأوه امثل من الكتب التي فيها وأسهل

(ارتياح الفكرة من جهة الكارة) كتيب وضعه احمد افندي رفعت في الفيوم أيام وباء الهيضة من العام الماضي وطبعه بعد ذلك . وعبارة الكتاب أقرب الى العامية واننا لم نقرأه ولكننا نذكر المسائل التي يبحث فيها بعبارته لعل أحداً يريد ان يعرف رأيه فيها وليعذرنا القراء في حكمنا على عبارته قال : قد جئت بالبحث والايضاح عن السبعة أوجه التي يهم كل إنسان الوقوف على حقيقتها وهي

« أولا — هل يوجد كارا حقيقة كما يقولون البعض بالاثبات والبعض بالنفي . ثانيا — هل ينفع فيها العلاج واستشارة الأطباء لتدارك الشفاء ام لا . ثالثا — هل الاحتياطات الصحية في ذلك مما يجب مراعاته والأخذ به ام طرحه ظهريا . رابعاً — هل مسألة الاصابة بالعدوى صحيح أم غير صحيح . خامساً — هل سير رجال الصحة في عمل الاحتياطات موافق للشرع الشريف أو مخالف له . سادسا — هل ما يشاع من وجود من يقصدون تعمد وضع أشياء مسمة للناس في الاطعمة والمياه حق أم باطل لا أصل له . سابعا — هل أصدق بقولي ان الكارا الثانية الآتي بيانها هي أشد وطأ وأعبأ ثقلا على الناس أم لا » اه بحروفه وصفحات الكتيب ٧٢ ويطلب من أكثر المكتبات الشهيرة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(مسامرات الشعب) صدرت القصة السابعة عشرة واسمها (اليتيم) ومؤلفها حافظ افندي عوض وقد كان طبعها الطبعة الاولى من نحو خمس سنين وقرأناها فحمدنا التأثير ، وانتقدنا التقصير فى التحرير ، وصدرت القصة الثامنة عشرة واسمها (شهداء الآباء) ومؤلفها مصطفى افندي ابراهيم وهي تمثل سوء عاقبة ماعليه أولاد الاغنياء فى مصر من فساد الاخلاق واتباع الشهوات . وفاتنا ان نذكر من قبل قصة (الفتاة اليابانية) وهي قصة موضوعها مفيد قرأناه بارتياح ووددنا لو يطالعها تلامذة المدارس المصرية على ان يميزوا بين التعليم الحي وتعليم المحاكاة التقليدية ومؤلفها حسن افندي رياض وهي القصة السادسة عشرة من المسامرات

باب الأخبار والآراء

﴿ الجمعية الخيرية الاسلامية ـ الاحتفال بمدرستها فى القاهرة ﴾

احتفلت الجمعية الخيرية الاسلامية فى يوم الاربعاء الاسبق بمدرستها في القاهرة احتفالا رأسه مفتي الديار المصرية وحضره كبار العلماء والوجهاء وفى مقدمتهم شيخ الازهر ومدير الاوقاف . وقد كان الاحتفال على نحو الاحتفالات السابقة حسنا ونظاما وموضع إعجاب بما امتاز به تلامذة الجمعية على سائر المتعلمين من أمثالهم وهو أنهم لايحفظون شيئا بدون فهم ولذلك كان رئيس الجمعية والاحتفال يناقش التلامذة فى كل مايسألون عنه فيحسنون الجواب . ولما أراد الرئيس توزيع الجائزة التي باسم المرحوم علي باشا مبارك ذكر من خدمته للمعارف ثلاثة أمور عظيمة أحدها تعميم المدارس فى المديريات وثانيها ابطال الضرب من المدارس وكان الضرب فيها مفروضاً رسميا فالتأديب فيها كان « بالكرباج » كتأديب المذنبين والمجرمين فى شريعة محمد على باشا وقوانينه . وقد قال الاستاذ الرئيس فى هذا المقام كلمة جليلة وهي :

ان علي باشا مبارك أبطل بمنع ضرب التلامذة التربية بالإهانة والقسوة وجعل التعليم مقرونا بكرامة النفس وهي قوام التربية فان المعاقبة على الذنب بالاهانة والقسوة لاتؤدب النفس لأنها تخفي الاخلاق الذميمة ولكنها لاتمحوها بل تزيدها وتقويها فتكون

كامنة حتى اذا تسنى لها الظهور تظهر في أقبح الصور . وأما الذي يمحو الاخلاق الذميمة فهو الاقناع بقبحها وضررها وحسن المعاملة وتكريم النفس حتى تتكرم عن الشوائن وتأنف من كل ماينافي الشرف

وأما الامر الثالث فهو إنشاء مدرسة دار العلوم التي تسمى الآن « مدرسة المعلمين الناصرية » (قال) إن تلامذة هـذه المدرسة يؤخذون من طلاب العلم في الأزهر فيضمون الى العلوم الازهرية جملة صالحة من العلوم الكونية التي تقرأ في المدارس . وقد تخرج في هذه المدرسة كثيرون خدموا المعارف في مصر خدمة نافعة فمنهم معلمو العربيـة في جميع مدارس الحكومة وبعض المدارس الأخرى ومنهم المشتغلون في المعارف بالتفتيش في المدارس والكتاتيب وهم محافظون على زيهم المصري زي أهل العلم الديني ولهذه المحافظة تأثير عظيم في التربية والتعليم

وبعد ذلك وزعت المكافأة السنوية التي يتبرع بها الشيخ عبد الرحيم الدمرداش لتابعين من تلامذة مدرسة الجمعيـة في القاهرة وهي ألف قرش . ثم انفض القوم بختم الاحتفال داعين للمدرسة بزيادة النجاح وللجمعية ببلوغ الكمال

المحسن المصري العظيم ـ منشاوي باشا

ذكرنا في جزء مضى ان صاحب السعادة احمد باشا المنشاوي الشهير تبرع بمئة فدان من أطيانه لمدرسة الصنائع التي تنشئها جمعيـة المروة الوثقى في الاسكندرية . وقد كتب رئيس الاكتتاب لإعانة المدرسة صاحب الدولة مصطفى رياض باشا كتاب شكر الى هذا المحسن العظيم وأرسلت الجمعية طائفة من أعضائها الى داره في القرشية يشكرون له بأنفسهم هذا الاحسان . ولما كان الشكر مدعاة المزيد هزته أريحية الكرم فتبرع بوقف ثلاث مئة فدان على هذه الجمعية الخيرية فكتب اليه رياض باشا كتاب شكر آخر ترغيباً في الاحسان وإسعاداً على الترغيب فيه وهو :

سعادتلو افندم أحمد منشاوي باشا حضرتلري

سلام وثناء عليك يامن عرفت كيف تصرف الأموال وكيف تخدم الاوطان وكيف تتقدم البلاد . انني كثيراً ما تمنيت الخير وكثيراً ماحببت فيه وكثيراً ما ناديت الامة المصرية الى جمع الاموال لتأسيس المدارس العلمية والصناعية وبعد ان أوشك اليأس ان يستولي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

علي رأيتك أيها الشهم الكريم وقفت مئة فدان على مدرسة محمد علي الصناعية . فعملك هذا جدد في الآمل وحببني في الامة المصرية باجمعها لوجود مثلك وجعلني اعتقد بأن اغنياء الامة سيقتدون بك في هذا العمل الجليل الذي قمت به لتعلم ما يجب على الاغنياء نحو وطنهم وكتبت اسعادتك من آيات الشكر ماتستحقه من الله والامة . ثم جاءني كتاب من سعادتك ينبئني بانك أيها البار بوطنك وقفت ثلاث مئة فدان على جمعية العروة الوثقى فالحق يقال ان حبك لبلادك وكرم نفسك وسخاء يدك ادهشني اعجاباً بهمتك العالية وحسن عاطفتك للخير نحو أمتك لانني لم أر مصرياً جاد بما جدت به وستشكرك الاجيال المستقبلة على فضلك هذا كما شكرتك الامة باسرها . وأهلا بزيارتك التي وعدت بها في خطابك . نسأل الله ان يمد في أجلك لاحياء بلادك ولتكون قدوة حسنة لغيرك والسلام عليك أيها المفضال (رياض)

في ٣ ربيع آخر سنة ١٣٢١

فحق علينا ان نعترف الآن بأن أحمد باشا المنشاوي هو أول غني يفتخر المصريون بكرمه الحميد وإحسانه النافع بل هو مفخر لجميع المسلمين الذين صار أغنياؤهم في هذه القرون يخلون بالدرهم في طريق المعارف وما دون المعارف من الخير ويبذلون القناطير المقنطرة في الاسراف والمخيلة والتمتع بالشهوات التي تفسد الاخلاق والآداب وتضعف الامة بذهاب ثروتها والإدلاء بها الى الاجانب . واننا لننتظر من محسننا العظيم نفحة من هذه النفحات لاخت جمعية العروة الوثقى وشقيقتها الكبرى وهي الجمعية الخيرية الاسلامية ولعله يخبأ لها إنشاء المدرسة الكلية التي لاتحقق أمنيتها الا بكرمه وجوده

ومما هجب به الجرائد في هذه الايام ان حسننا العظيم تبرع بألفي ليرة عثمانية إعانة لسكة الحديد الحجازية وبخمس مئة ليرة أخرى باسم قرينته فجزاه الله أفضل الجزاء بمنه وكرمه

﴿ جمعية الفضائل الاسلامية ﴾

ألف نفر من ذوي الغيرة الملية في القيوم جمعية سموها بهذا الاسم وفرضوا على كل داخل فيها خمسة قروش في الشهر على ان يشتروا بما يجتمع في كل شهر نسخا من المنار وبعض مؤلفات الاستاذ الامام ويوزعوها على الناس . وهؤلاء النفر الكرام محمد رمزي وابراهيم أبو عيشة وأحمد نصار وحسن ناصر وعبد الجواد حسن وابراهيم الصعيدي فحياهم الله وغاهم

إهداء من مكتبة الألوكة www.alukah.net

﴿ قراء الصحف المنشرة ﴾

يقرأ هذه الصحف التي تسمى المجلات والجرائد جميع أصناف الناس في جميع البلاد فاصحاب الصحف الرائجة المشهورة أجدر الناس بمعرفة حال الناس في المعاملة مطلا ووفاء . وقد علمنا بالاختبار ان لكل صنف خلقا ولأهل كل قطر خلقا فمسلمو بلاد روسيا أحسن خلق الله وفاء أكثرهم يرسل مع طلب الاشتراك اوراقا مالية بقيمته وأوراقا مطبوعا عليها عنوانه ثم يرسلون القيمة في أول كل سنة ومن ارجأ الارسال عن أول السنة فلا يرجئه الا قليلا ويليهم اهل جزيرة العرب . واسوأهم معاملة وأكثرهم مطلا وإهمالا مسلمو الهند ويليهم أهل الجزائر فان كثيرا من المشتركين في هذين القطرين ليقرأ المجلة أو الجريدة عدة سنين ولا يخطر بباله أن يرسل الى صاحبها شيئا . ومن العجب أن السلائل العربية في كل بلاد يتبوؤونها يحافظون على أكثر أخلاق العرب الفاضلة فتجار العرب في الهند وجاوه وسنغافورهم الذين يرسلون قيم الاشتراك من غير مطالبة ولا تذكير . وأهل المغرب الأقصى كأهل الجزائر الا أفراداً في مدينة فاس يشبهون مسلمي روسيا في الوفاء . والحق أنه ليس لنا ان نحكم على أهل تلك البلاد لان القراء فيهم قايلون وأصلهم في الغالب مجهول . وأما أهل تونس فهم وسط أكثرهم اذا طولب يدفع واذا سكت عنه يسكت وقليل منهم يرسل وان لم يطالب ولا أعرف احدا منهم الى اليوم طولب فمطل حتى لا يرجونه الا ان الوكيل طلب منع المنار عن نفر قليل لأن الحق لا يخرج منهم الا نكدا وأظن انهم دفعوا وليس عندهم شيء وسيتبين هذا بعد قليل ، لان المحصل لا يزال يشتغل بالتحصيل . فان قيل ان علي بن زين الذي كان وكيلا للمنار قد جمع طائفة من الاشتراكات وثمن كتب أرسلتموها اليه بطلبه كتقرير مفتي الديار المصرية وكتاب الدروس الحكمية وما طلكم في ذلك عدة سنين : نقول اننا لا نزال نرجوه وقد كان بعض الناس يكتب الينا يحذرنا منه فلم نحفل بذلك والذي تحققناه انه ماطل ولا نقول انه لا ذمة له ولا أمانة الا اذا كتب الينا الوكيل الذي كلفناه بمحاسبته ومطالبته : انه لا يدفع مختاراً : أو تقاضاه في المحكمة . هذا وان الوكيل هناك يشكو من عناء التحصيل ولعل ذلك لكرم نفسه وعدم اختبار الناس في حرصهم على المال

هذا إيماء الى ما كان من اختبارنا فاذا أردنا ان نمثل ذلك بتأثير الحكومات

بأن نقول ان الامة التي تظلمها حكومتها تتعلم الظلم والامة التي تحكم بالعدل تجري على العدل — خانتنا التعليل وان كان له وجه وجيه إذ يصعب علينا ان نفضل حكومة روسيا على حكومة الهند . والصواب ان حسن المعاملة تابع لحسن الخلق والاخلاق آثار الوراثة والتربية في النفس اذا رسخت وانطبعت . ولا شك ان الامم المحكومة تؤثر كيفية الحكم في أخلاقها . ولكن أخلاق الامم تنطبع في الزمن الطويل ولا تتغير الا في الزمن الطويل ولذلك لا يصح الحكم على أخلاق الامة بحال حكومتها الحاضرة الحادثة فان الذين يفعل الاستبداد والاستذلال في نفوسهم عدة قرون لا يتطهرون من تلك الآثار الخبيثة في عشرات من السنين لاسيما اذا انتقلوا من عبودية ذل الى حرية مجون وخلاعة . ومسلمو روسيا لم يكونوا أذلاء ولا مجانا من قبل حكمها وهي لم تظلمهم الا بالتضييق على المعارف زمنا ثم أعطتهم حرية ما في التعليم والتربية فهم يجدون فيها ويجتهدون على بصيرة يفضلون فيها سائر المسلمين . وأهل الهند كانوا أذلاء بالاستبداد ثم كانت لهم حرية فاسقة مع تضييق في أمور المعارف ثم صارت لهم حرية تامة لم تؤثر فيهم تأثيرها لقصر الزمن

وأما أهل المغرب الاقصى فهم على بداوتهم في ظلمات من الفوضى والجهل لا يبصرون ولا يبصرون ولذلك قلنا ان الحكم عليهم غير صحيح . ونظن ان الاخلاق في الجزائر لم تفسد بالمرة وانها هناك خير منها في تونس لأن الجزائريين أبعد من التونسيين عن الخلاعة والترف وقد كانوا من قبل حكم فرنسا أقرب في حضرهم الى البداوة ولم يؤثر حكمها في أخلاقهم الا قوة الاعتصام برابطة الدين والجنس لأنها أزالت منهم السلطة الاسلامية ولا يستطيع افساد المسلمين الا الحكام الطغاة من المسلمين اذ لا يفل الحديد الا الحديد . والبلاد العثمانية نزلت عليها آية الحجاب فلا كلام فيها

بقي الكلام على بلاد مصر . كانت هذه البلاد ولا تزال أم العجائب وفيها من المناظير والخائنين والهاضمين للحقوق مالا يوجد في غيرها كما ان فيها من الفضلاء وأهل الكرم والوفاء نفرا أعز وجودا أمثالهم في سواها . في هذه البلاد رأينا من الفروق بين الاصناف ، كما يرى الراءون بين الاشخاص ، وأظن ان غير العالم المختبر يحسب ان أحسن الناس وفاء وأسهلهم قضاء علماء الدين أو قضاة الشرع أو القضاة عامة لانهم هم الذين يعملون لاقامة العدل وأداء الحقوق الى أهلها وهم أعلم الناس بآثار الله في الحقوق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومضراته لانها ممثلة كل يوم أمام أعينهم في أقبح صورها وأشكالها. ليس هذا الحسبان بصحيح ولعل القارئ لا يتوقع ان أقول ان أحسن الناس وفاء وأطهرهم ذمة المهندسون. ولعل السبب في ذلك تأثير العلوم الرياضية في نفوسهم كما تؤثر في عقولهم فانها هي العلوم التي ليس فيها أوهام ولا ظنون فاسدة ولا خرافات ولا مسائل تؤخذ بالتقليد الاعمى.

أما المطل فهو على أشده في أهل البطالة ثم في كتاب الدواوين وغيرها لان أكثرهم لا هم له من حياته الا أن يكون له رزق مضمون يتمتع به وان كان قليلا أعني أنهم لا تهمهم الامور العامة وليس لهم مقاصد عالية وانما يذكرون لفظ الملة أو الوطن حكاية للالفاظ التي تكثر في الجرائد ومن يشترك في الجرائد منهم فانما يشترك تشبها بالوجهاء والرؤساء. هذا كلامنا في الاكثرين ومنهم أفراد من أرباب البيوت التي لها سلف في حسن الاخلاق أو التي لها قرب من سذاجة الفلاحين الفطرية التي لم يطغ عليها طوفان فساد ما يسمونه (التمدن) فاولئك يشتركون ليستفيدوا وليكونوا عونا للصحيفة التي يعتقدون نفعها وقليل ماهم

ومن العجيب ان يكثر المطل واللي وهضم حقوق العلم والادب في رجال القضاء وأعوانهم من رجال (النيابة) فان في قضاة الاستئناف الذين يرون أنفسهم فوق جميع رجال الحكومة عدلا وعدالة وعفة واستقامة من يدافعون محصل الجريدة من شهر الى شهر حتى تصير هذه الشهور سنين فما بالك بمن دونهم؟

أما أهل العلم الديني ومنهم قضاة الشرع ومعلمو المدارس فهم أحرص على المال وأضن به من جميع الناس الا أنهم قلما يشتركون في الجرائد ولكن يطلبها الوجهاء منهم على ان تكون هدية ومن أراد الاشتراك من غير الوجهاء فانه يجتهد في أن ينقص من قيمة الاشتراك المعينة شيئا النصف فما دونه ويلح في ذلك إلحاحا ثم انهم بعد ذلك لا يتنزهون عن المطل والتسويف ولكنهم قلما يستحلون أكل قيمة الاشتراك وهضمها بالمرة كما يفعل بعض كتاب الدواوين وبعض التجار والفلاحين والعمد

هؤلاء العمد يحبون الجرائد ويكرهون المجلات يحبون الجرائد لانها يتوقعون من مدحها إياهم ودفعها عنهم فيما يتهمون به ولذلك يدفعون لها الاشتراك ويزيدونها عطاء ومساعدة. ويكرهون المجلات لانهم لا يتوقعون منها ذلك ولا يفهمونها وليس عندهم روح حب العلم والادب وقد اعتاد أكثرهم على الظلم وهضم الحقوق حتى ان الاستاذ الامام يضرب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المثل في الدرس ببلادتهم. وليس هذا الحكم عاما فانني أعرف نفراً منهم يحبون العلم والادب منهم المتعلم في المدارس النظامية ومنهم من له حسب عريق وأخلاق موروثة . وإنما قلت ماقلت في العمد عن سماع لاعن اختبار فان المشتركين منهم في المنار قليلون وانني شاكر لهم لاشاك منهم ولا استثني الى اثنين لاأذكرهما بالاسم ولا بالوسم لأن هذا ليس من شأن المنار ولذلك نجرءا على هضم حقه

ومن الناس من يحتال على قراءة الصحف المنشرة بالانتداب لخدمتها بالمكاتبة أو الدعوة اليها وتكثير سواد قرائها وقد عانينا من هؤلاء المحتالين ماعانى غيرنا ولم يبق لاحد يعرف المنار مطمع في مكاتبته لأن مائدته لاتقبل المتطفلين ولكننا نتلقى في كل حين كتابا ممن يصفون أنفسهم بالغيرة على العلم والدين ، والرغبة في إسعاد الكتاب والمنشئين، وبعد إطرائنا وإطراء أنفسهم يطلبون ان يكونوا وكلاء . وقد اجبنا طلب كثير منهم بارسال المجلة اليهم وحثهم على نشرها فلم يصدق أحد منهم وإنما كانوا يخادعوننا في أول الامر بطلب المجلة لواحد أو اثنين ويشهدون لمن يطلبون له بالأمانة والاستقامة ويعدون بأخذ قيمة الاشتراك منه في أثناء السنة فتمر السنة ولا يفي أحدهم بوعده ومن يدري أأخذ من المشترك أم لا. وقد كان لنا من أرجى هؤلاء العاضدين للادب بالوكالة ان جبانا مشتركا في أول العهد بوكالته (في السنة الماضية) ثم ان ذلك المشترك كتب الينا بأنه لم يرض ان يكون عونا للمجلة بالاشتراك فقط وإنما هو مستعد لنشرها وطلب وصولات لأجل التحصيل ممن يدعوهم الى الاشتراك فكتبنا اليه بأننا ننتظر قبل كل شيء قيمة اشتراكه هو ثم عليه ان ينبه من يدعوهم الى الاشتراك بارسال القيمة حوالة على البريد فسكت ولم يحر جوابا حتى اذا انتهت السنة كتبنا اليه نطالبه فلم يرسل الينا مالا ، ولم يرجع الينا قولا ، فرجعنا الى الوكيل الذي أمر بارسال المجلة اليه فكتب إنه طالبه فادعى ان المجلة ترسل اليه أنه وكيل لها لأنه مشترك فيها!! ثم طلبها لمشترك جديد... فكتبنا اليه: إنك كنت وكيلا على مشترك واحد فلما صار هو وكيلا صرتما وكيلين على لاشيء . وأنت الآن تطلب المجلة لآخر ونخشى ان يصير في آخر السنة وكيلا فيكون لنا ثلاثة وكلاء على لاشيء ثم يتجدد هذا في كل عام... وما يدرينا اننا اذا أطعنا هذا الوكيل يصير خبره الى جميع المشتركين فيختارون ان يكونوا وكلاء.. يتحكم كل منهم بارسال المجلة الى من شاء ، !!!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ نحن واليازجي ﴾

الشيخ ابراهيم اليازجي في الطبقة الاولى من أدباء نصارى بلاد الشام وقد اشتهر بالعناية والبحث في اللغة العربية وانتقاد مايكتب بها وان قومه ليجلون قدره ، ولكننا كنا نراهم على فخرهم به يشكون من عجبه وصلفه ، ويألمون من غروره وتنفجه ، ويقولون ان هذه الخلال حالت دون انتفاعه بعلمه وانتفاع الناس به ، وانها تحمله على أن يغمص العلماء والفضلاء الذين لايدانيهم في علمهم (كنششي المقتطف) لما قد يقع في كلامهم أحياناً من كلمة دخيلة او عامية ، أو عبارة تخالف بعض قواعد العربية ، على ان كلامه لايسلم من مثل ذلك ولكنه لانصرافه بكل همته الى التنقيح يقل في كلامه الغلط والشذوذ ، وللقوم شغل بالعلوم يأخذ من همتهم حظا هو أشرف ماتصرف اليه الهمم ، ومما سمعناه عنه في بلاد الشام وفي هذه البلاد ان غروره بنفسه في فهم اللغة جرأه على الطعن في القرآن العظيم الذي خضعت له أعناق البلغاء ، وسجدت له جباه الفصحاء ، أيام كانت البلاغة في أوج سلطانها ، والفصاحة في ريعان شبابها ، فكان لهذا الرجل في خيالنا صورة منتزعة من سيرته المسموعة غير جميلة لذلك لم تتوجه النفس الى طلب معرفته لأننا من قوم يفضلون الاخلاق الكريمة على العلوم العقلية والكونية ، بله الفنون اللغوية . ثم ان كلا منا يشتغل بالصحافة ولكن ليس بيننا وبينه مبادلة فلا نحن نطلع على مجلته ولا هو يطلع على مجلتنا الا أن يكون ذلك مصادفة واتفاقا

ثم كان في العام الماضي ان جمعية الكتاب المصرية ضمتنا في بعض جلساتها فرأينا صورة أجمل من تلك الصورة الخيالية رأينا لطافة ودماثة وأدبا كدنا نكذب به كل ماسمعناه مما لايرضى لولا ان هذا اللقاء لايصح ان يسمى اختباراً يحكم به على الاخلاق . على أن اعتقادنا فيه حسن ورجحنا ان في قول الناس فيه مبالغة حتى اتفق لنا ما كشف الستار من حيث لانحتسب

رأى القراء أننا حين شرعنا في رد شبهات النصارى على القرآن ، قلنا ان المجلة البروتستنتية نقلت هذه الشبهات من كتاب لهم « يقال ان للشيخ ابراهيم اليازجي يدا في تصحيحه أو تأليفه أو الزيادة فيه وهو عندهم أقوى طعن في القرآن » معتقدين صدق الذين قالوا لنا ذلك لنبين لصاحب تلك المجلة وغيره ان آخر سهم في كنانتهم طائش وان مارتضاه علمهم باللغة وعده طعنا في القرآن ليس بأمثل مما يهذي به اجهلهم فهو دليل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على سوء قصده والا فعلى جهله . ولكنني حفظت لليازجي حق ذلك الاجتماع القليل فأوردت الرواية بصيغة المجهول التي تشعر بالشك (يقال) ثم انني لم أكن راضيا عن نفسي تمام الرضى بما نشرته وأنا أشبه بالمضطر مني بالمختار لأن مدافعة المشاغبين الذين يطعنون في الدين من الفروض الاسلامية الكفائية اذا لم يقم بها أحد يكون جميع المسلمين العارفين عاصين لله تعالى . وقد لقيت بعد أيام من صدور المنار صاحبا لي والشيخ ابراهيم فأخبرني بأنه استاء مما كتبت وأنكر ما نسب اليه . فقلت له ان أحب شيء الي ان أجد سندا لإعلان براءته وحسبي في ذلك ما نقلت انت عنه وانني سأبرئه في أول جزء يصدر من المنار . فقال لا تعجل حتى ترى ما يكتب فان الذي أطلعه على المنار أغراه بالرد عليه والاغلاظ له ثم جاءني صاحب آخر بما كتبه فاذا هو قد أعاد لي تلك الصورة التي صورها الناقلون الاولون

أكبر الرصيف أمر تلك الكلمة (يقال...) إكبارا حتى مثلها القارئ كلامه بصورة جبل عظيم يريد ان ينقض على العالم فتنقض معه المعاقل والصياصي . وتشيب لهوله النواصي . وعدها من « الفوضى القلمية في هذا القطر وانقطاع كل عقال فيه حتى أصبح كل شيء مباحا وصار الكاتب اذا همس في صدره خاطر متخرص (كذا) أو مر باسمه قول مرجف لا يليث ان ينشره بغير تثبت ولا فحص يشوش به الافكار ويجعله مصدراً للقيل والقال » . كأنه يرى ان ما كتبه أصحاب الجرائد الاسبوعية في الائمة الاعلام وفي كبار الامراء والحكام ، لا يذكر في جانب تلك الكلمة في مقامه ولا تصل به الحرية الى حال الفوضى القلمية وكأنه يتوهم أن أبناء الملتين الكبيرتين (الاسلامية والنصرانية) ينتظرون سماع اسمه ونقل كلمة عنه حتى اذا ما قيل ان الشيخ ابراهيم قال كذا تضطرب الافكار ، وتجيش الصدور ، وتستعر نيران الجدال ، وتكون كلمته موضوع القيل والقال ، ولكن الكلمة قد قيلت ولم يحفل بها أحد . وأما المنار فإنما رد عليه كما رد من قبل على ما كتبه ذلك القبطي الذي لا يعرف اسمه الا مكتوبا على غلاف تلك المجلة فلا هو من العلماء ولا من الكتاب ولكنه من المشاغبين الذين ينشرون شبهات المشككين .

وقال بعد نقل الكلمة انه وقف يقلب الطرف في هذا الكلام ويمثل أيامه وأحلامه الماضية ليتذكر عهد اشتغاله بالمناقشات الدينية . ثم استدل من الكلمة على شدة حرصنا على إلصاق التهمة به وعلى أنه مأخوذ بها إما من جهة التأليف أو من ناحية التصحيح أو من جانب الزيادة . ثم قال اننا بنينا هذا الحرص وهذا الحكم بالاخذ على شهادة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«يقال» وهي شهادة ما أنزل الله بها من سلطان . وكتب ما شاء أدبه من الطعن والهجو

ولعمري ان استنباط هذه المعاني كلها من كلمة « يقال » ثم ادعاء انها هي نفسها انما جعلت شاهدا على المستنبطات ثم الاعتراف بانها شهادة لا تدل على شيء من ذلك — كل ذلك يناسب فهم ذلك المنتقد على القرآن الذي عمد الى الآيات المتناسبة الواردة في تأييد حقيقة واحدة فجعلها متعارضة متناقضة . سبحان الله ! اننا لم نكتب عنك يا علامة اللغة الا تلك الكلمة «يقال ...» فاذا كانت لا تدل على ثبوت شيء فمن أين استنبطت كل هذه المعاني ؟ لعلك استنبطتها من الطريقة التي فسرت بها القرآن بهواك . فسبحان من أعطاك أو من التمرن على مجادلة الجزويت ، فلله أنت ولله ما أوتيت ،

ثم قال اننا كنا نستطيع ان نستثبت ذلك منه مشافهة وانه كان يعتقد الى الساعة التي علم فيها بالكلمة أننا من أصدقائه — وان لم تثبت مع التعصب صداقة — وان ذلك كان يكفينا إعنات النفس في الاستخبار والاستطلاع أو كد المخيلة في الحدس والتكهن (كذا)

ما أشبه هذه الاقوال بتلك في الخطل والعسلطة . أيظن الرصيف اللغوي ان تلك الكلمة «يقال ...» لم تأت الا من إعنات النفس في سؤال الكثير من الناس : هل كان لليازجي يد في كتاب كذا أم لا ؟ أو من كد المخيلة في التكهن ؟ ان هذا الظن من أعجب وحي الغرور . وأعجب منه أن يظن رجل مثله شاخ في اختبار الناس أن فلانا صديقه وهو لم يختبره في شيء وإنما رآه مرتين أو ثلاثا ولم يتحدث معه الا بعض دقائق . أما قوله بأنه كان ينبغي لنا الاستثبات منه فهو صواب ولكنه محتف بغروره إذ كلفنا ان نجيئه وهو يعلم أننا لا نعلم في أي ناحية من مصر يقيم وان أوقاتنا لا تسمح لنا بزيارة جميع أصدقائنا الذين يزورونا فضلا عن إضاعة الأوقات في السؤال عن غيرهم . ولعمر الحق انه لو خطر في بالنا ذلك عند الكتابة لكتبنا اليه وان كان الوقت قصيرا وانه لو كتب بعد ذلك رقعة يبرئ بها نفسه لبادرنا الى تبرئته ولكن هذا الغيظ الذي استولى عليه حتى كتب ما كتب مما كنا نجله عنه يدل على ان ما قيل عنه صحيح وإن بالغ في تنزيه نفسه عن المناقشة في الاديان فان الانسان لا يتألم مثل هذا الألم الا اذا كان ما قيل فيه حقا

أما الصداقة فنؤكد له القول بأنه قلما يوجد في بلاد سوريا ومصر من له أصدقاء يخاص لهم ويخلصون له مثلنا . وان أصدقاءنا من فضلاء النصارى يعرفون حرصنا الحقيقي على الوفاق بين الملل وان مدافعتنا ما يفتريه أويموّه به القسيسون والمبشرون وأعوانهم على الاسلام ، مما يعيننا على الدعوة الى الوفاق والوئام ،

شبكة الألوكة www.alukah.net
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنار

المجلد السادس — الجزء التاسع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الاحد غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢١ — ٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣)

الخوارق والكرامات

المقالة الخامسة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل

(التنويم المغناطيسي — بقية بحث ابراء العالل)

قلنا ان من وجوه التعليل في ابراء العلل تأثير النفس الذي يعبر عنه الصوفية بتأثير الهمة وقد كان هذا فاشيا فيهم لانهم كانوا يعرفون تربية الهمة النفسية أي تربية الارادة والعزيمة. وقلنا إنهم لم يكونوا يقصرون هذا على أنفسهم بل كانوا يعترفون بوقوعه للوثنيين كالهنود وغيرهم وانما سرى هذا الى المسلمين من الهنود. ونقول الآن ان هذا التأثير قد ظهر في هذا العصر — عصر الصناعات والعلوم الطبيعية — بشكل صناعي يعبرون عنه بالتنويم المغناطيسي الذي شاع ذكره واشتهر أمره وكثرت فيه الدعاوي ومن أغربها ان المنوّم اذا سأل المنوّم عن شيء من الامور الغيبية التي لم يسبق له بها علم يجيبه عنه لأن روحه بغيبتها عن الحس تطلع على ماوراءه ومنه ان المنوّم اذا قال للمنوّم إنك قد برئت من علتك وشفيت من مرضك — وهو مريض — فانه يبرأ حالاً واذا قال له ان الجوّ بارد ينتابه البرد حالاً ويقشعر وان كان الحر شديداً وكذلك اذا قال له ان الحرّ شديد في إبان البرد القارس فانه يسرع اليه العرق مما يجد من الحر.

ومن العلماء من ينكر هذه الدعاوي ويعد منتحليها من المشعوذين. والمحققون من الاطباء والطبيعيين يقولون ان الذي ثبت بهذا التنويم شيء واحد وهو تأثير النفس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في النفس وحكم الارادة القوية على الارادة الضعيفة وهذا هو الذي كان معروفاً عند القدماء من الصوفية وغيرهم على ماعلمت من الجزء الماضي . وقد جاءنا بعد صدوره العدد ٢٢ من جريدة (الافكار) التي يصدرها في سان باولو البرازيل (أمريكا الجنوبية) الدكتور سعيد أبو جمرة فرأينا فيه مقالة في ذلك رأينا ان ننشرها هنا لما نعلم من تشوف أكثر القراء الى الوقوف على آراء العلماء المحققين في هذه المسألة قال بعد العنوان ما نصه :

« كانت امامنا مجلة نيويورك الطبية عدد ١٨ نيسان الماضي وبها مقالة بديعة عن التنويم المغنطيسي تتضمن أحدث الاراء وادق المعاني عن مسئلة هامة شغلت عقول العلماء والاطباء مدة طويلة والا ورد علينا سؤال من صديق عزيز علينا يسألنا ابداء رأينا في استعمال التنويم طبياً في احدى الحالات المرضية فاخترنا اذ ذاك تلخيص هذه المقالة جباً بافادة القراء وهي خطاب لاشهر طبيب أمركاني « الدكتور هاورد » القاه امام عمدة مدرسة الاطباء والجراحين في مدينة بلتيمور . وهاك فحواه مع بعض التصرف والاختصار :

« أيها السادة . كثر الدجالون القائلون الآن باستعمال التنويم المغنطيسي في كل الامراض تقريباً وكثر الناس الذين لسوء الحظ يصدقون بأقوالهم المزخرفة وبراهينهم السطحية السفسطية حتى صار صبيان الازقة عندنا يقولون « المغنطيس الحيواني والهستيريا والمغنطيس » وهلم جرا . واننا لسوء الحظ نقول ان بعض هؤلاء الدجالين هم أطباء قانونيون مثلنا . ولكنهم يستعملون هذا السلاح الحاد بدون معرفة وبلا تمييز حتى صرت أود من كل قلبي ان تختفي المعرفة عن التنويم فاني أرى اضرارها أكثر من منافعها في يدي هولاء المشعوذين والسحرة

« واني لاأخفي عليكم رأي شاركو شيخ الاطباء الحاليين في كل العالم من هذا القبيل الذي قوله لي في وسط مكتبه وعلى مسمع من عشرات من أطباء الارض يقصدون باريس سنويا للاستفادة من شاركو ذلك البحر الزاخر قال لي ان التنويم والهستيريا فرعان لاصل واحد . أي ان المريض المهستر يقبل التنويم والذي يقبل التنويم يكون مهستراً أو ضعيف العقل والارادة والعكس بالعكس . وهذا هو عين الواقع أيها الرفقاء

وعلى هذا قد صادق الدكاترة برنهاين وليبول في أوروبا وانا في أمركا بعد احصاآت عديدة حسية في المستشفيات هنا وفي مكتبي الخاص أيضاً . ولما كان هذا الخطاب لاجل الحقائق لالاجل تقديم الاراء فاني انتقل بغتةً الى التجارب الحسية امامكم لاقناعكم بصحة قول شاركو وقولي . انظروا هذه الدجاجة على الطاولة امامي هاأني الآن أنومها (فنومها شدت ساقيها وذبلت جفنيها ونامت مغنطيسياً حالاً) باشارة صغيرة . وعلى الطرف الآخر انظروا هذه الحمامة . هاقد نامت أيضاً . والآن تقدمي يامس ... (وناداني سيدة كهلة عزباء مصابة بمرض تتطلب عنده) فترون أيها السادة الرصفاء ان كلمة صغيرة الى مس... تجعلها تحت تسلط ارادتي ... نامي . أقول لك أنت الآن نائمة . لاتشعرين . لاتنظرين . لاتسمعين ... فها قد نامت هذه السيدة مثل الدجاجة والحمامة حالا . ولكنكم اذا أتيتم بشاركو وكل أطباء الارض وعلمائها فانهم لايقدرون ان ينوموني . (ضحك واستحسان)

وهذا يأتي بنا طبعاً الى هذا السوال المهم وهو: من هم الناس الذين ينامون وما هي ماهية التنويم؟ فعن الاول أجيب ان الناس الذين ينامون هم كل الذين يشكون من ضعف مافي مراكز العقل والارادة . وهؤلاء كثار العدد خلاف ماتتصورون . وعلى ما أظن انهم ٣٠ بالمائة في العالم المتمدن واكثر من نصف الناس في غيره . ولكن أنواع التنويم وهيئاته مختلفة . فاني اذا نومت زيداً وقلت له لاتشعر بالالم فانه لايشعر واذ ذاك فاقدر ان أعمل عملية جراحية صغيرة عليه وهو كأنه تحت البنج . ولكني اذا فعلت ذلك مع عمرو لا أنجح بل أنجح اذا قلت مثلاً انك لاتسمع أو لاتبصر أو لاتبرد مع ان الماء المثلج يسقط على بدنه العاري . أما عن الثاني اي ماهية التنويم فأقول بالاختصار انها غير معروفة تماماً . سوى ان المنوِّم هو حكم ارادة قوية على ارادة ضعيفة بمظهر كبير . وعلى هذا القياس نقدر ان نقول ان من يستولي على عقول الناس وأميالهم وأفكارهم ليس سوى منوم وما الناس الذين يقادون له الا مصابون بنوع من أنواع الضعف العقلي (أو الدماغي) حتى أصبحوا عرضة لان ينوموا بالتنويم المغنطيسي ولو بمظهر بسيط وبهيئة دارجة عادية تماما يعلق عليها الناس كبير أهمية . ولهذا السبب لاتعجبوا اذا قلت لكم ان نصف العالم عرضة للتنويم المغنطيسي بأحد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أنواعه هذا اذا لم أقل نصف المتمدنين (استغراب وهمس في الحضور)

«استعماله طبياً: أما دائرة استعماله العلمي فضيقة لكنها مفيدة للغاية في يد منوم شريف عفيف عالم. ومضرة للغاية أيضاً في يد المحتال محب المال الدجال الساحر الغاشم الكافر. ورأي شاركو في استعمال التنويم هو: — يحسن (أي لايجب) بنا ان نستعمله في أمرين فقط وهما (١) عند وجوب تحقيق أو تشخيص أمراض الدماغ والعصب للتمييز بين الامراض العقلية منها وبين أمراض مادة الدماغ ذاتها أي للتمييز بين الامراض الوظائفية والامراض الآلية. مثلاً اذا جن زيد فيجب علينا تحقيق سبب الجنون هل هو ناتج عن خلل في احدى وظائف الدماغ أم عن مرض أصاب الدماغ ذاته كنزيف أو احتقان أو ضغط عظم جمجمة مكسورة وهلم جرا. و (٢) عند تخفيف الآلام ومعالجة الارق أو قلة النوم التي تضنك الجسم وتسبب له الضعف الشديد والتعرض للجنون بأحد أنواعه وعلى هذا فاستعملوه في آلام الحمى الروماتزمية (داء المفاصل الحاد). في الارق المستديم. في الامراض العصبية التي تأتي بالألم الشديد ليلا. في بعض انواع الفالج وما اشبه من الحالات. اما في الهستيريا وهو المرض الذي يكثر به احتيال الدجالين فاستعملوه نادراً وبحذر تام. أي أنه يحسن بنا ان نستعمله في الهستيريا اذا كانت المهسترة أو المهستر متألماً جداً من ارتجاف الاعضاء أو تقلصها أو انكماشها أو شللها أو التوقف عن عمل وظائفها الطبيعية كحبس البول أو الامتناع عن الاكل والشرب والنوم وما شاكل ذلك من العوارض التي اذا دامت مع الطويل تؤذيه وتأتي له بامراض ثانوية مضنكة. ولا بأس من استعماله في حالات السكر اذا كان السكران عرضة لان يضر ذاته أو غيره وكذلك في حالات المانيا (نوع من الجنون) الحادة أو الملانخوليا التي تجعل المصاب عرضة للانتحار. وفي كل هذه الظروف فليكن استعماله بحذر تام وباعتدال لحد الامساك. انتهى باختصار وتصرف» اهـ

(المنار) نكتفي بهذا البحث في هذا الجزء وسنعود في الاجزاء الآتية الى الكلام في بقية أنواع الخوارق وتعليلها المعقول ان شاء الله تعالى. وقد نقلنا عبارة الافكار بحروفها وفيها من النقد في اللغة والاسلوب ما يعذرنا القراء على عدم التعرض له

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ شبهات النصارى وحجج المسلمين ﴾

(النبذة الثالثة فى رد شبهاتهم على القرآن)

(الشاهد التاسع على تناقض القرآن بزعمهم) قوله تعالى فى سورة الانعام « وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » مع قوله تعالى فى سورة النساء « يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا » والجواب عنه من وجهين أحدهما أن لفظ (يوم) له إطلاقان إطلاق بمعنى مدة بياض النهار أو مجموع ليل ونهار وإطلاق بمعنى الوقت مطلقاً واذا أضيف الى حادثة وقت أوقدر وقوعها في المستقبل يراد به الاطلاق الثاني ومنه أيام العرب المشهورة لا يريدون باليوم منها بياض نهار ولا مجموع نهار وليل وانما يريدون الوقت وان كان ساعة واحدة أو أياما طويلة بحسب الإطلاق الاول. ومنه أيضاً ماعبر عنه في القرآن الكريم بكلمة يومئذ أو يوم يكون كذا كقوله « ويوم نحشرهم جميعا » وقوله « يومئذ يود الذين كفروا » الخ ومثلهما كثير جدا لاسيما في سياق الكلام على الآخرة التي ليس فيها أيام تتعاقب مع الليالي فمعنى «يوم» في كل آية وقت يحدده الفعل الذي تعلق هو به فى الآية أو المضاف اليه كيوم الحسرة

اذا تمهد هذا فاعلم ان الآيتين اللتين زعم النصراني تناقضهما تتبينان بأمرين يكونان في يومين أي وقتين مختلفين أحدهما حشر المشركين وسؤالهم عن الشرك وقد أخبر انهم يومئذ ينكرون كما فى آية الانعام وثانيهما إتيان الله بعد ذلك الانكار بالشهداء يشهدون عليهم وفي ذلك الوقت (أو اليوم) يضطرون الى الاعتراف فيعترفون ولا يكتمون كما فى آية النساء. وقد حذف المعترض الآية التي قبل قوله تعالى «يومئذ يود الذين كفروا» الخ وهي التي تدل على أن عدم الكتمان إنما يكون بعد شهادة الشهداء وهي قوله عز وجل « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » ومجموع الآيات يمثل لنا محاكمة في الحساب الاخروي ينكر فيها الخصم جريمته أولا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يضطر الى الاعتراف بعد شهادة الشهداء وإقامة البينة كما يعهد في الدنيا. والحكمة في هذا ردع العصاة وانذارهم عاقبة الفضيحة في تلك المحاكمة التي لا يظلم فيها أحد. فالآيات متوافقة متطابقة وما أظن ان ذلك « العلامة اللغوي » الذي حرّر الاعتراض يجهل ذلك وانما هو تكابر ومشاغب

هذا هو الوجه الأول في الجواب وأما الوجه الثاني فهو ماذهب اليه بعض المفسرين من أن الواو في قوله «ولا يكتمون الله حديثاً» واو الحال وليست واو العطف فتدلّ على عدم الكتمان ومعنى الآية حينئذ ان أولئك الكافرين العاصين تأخذهم الرهبة ويحيط بهم الوجل فلا يتجرأون على الكذب على الله تعالى وإنكار ماكان منهم بل يودون ان يكونوا ترابا فتسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يعلمون أنه محيط به وانه لا يعزب عن علمه، كما تقول: أودّ أن أقتل ولا أغشك: أي اني استحب الموت وأفضله على غشك. وبهذا التفسير تكون هذه الآية بمعنى الأولى وهو لا يأباه النظم ولا ينبذه الاعراب ولا ترفضه البلاغة والفصاحة وما هو بتأويل. ولا انحراف عن السبيل، ولو شاء المجيب ان يكثر من الوجوه لفعل فانه يشترط في تحقق التناقض الاتحاد في الموضوع والمحمول والزمان والمكان، الى آخر مايسمونه الوحدات الثمان، فكما ان الجواب الاول أبان عدم التناقض لعدم الاتفاق في الزمان (والجواب الثاني نفى الخلاف بالمرة) فلنا ان نجيب جوابا ثالثا باختلاف الموضوع فنقول ان التناقض غير متحقق لاختلاف القضيتين في الموضوع فان إحداهما تحكي عن المشركين والاخرى عن الذين كفروا وعصوا الرسول وتشمل الموحدين الذين لم يشركوا ولكن كان كفرهم برفض الايمان بالنبي عليه الصلاة والسلام كما تشمل الذين آمنوا برسالته، ولكن عصوه في هدايته، وهذه آيات القرآن تصف اليهود بالكفر دون الشرك. ثم ان لنا ان نجيب جوابا رابعاً بمنع التناقض لاختلاف المكان فان ليوم القيامة مواقف كما ورد فيحتمل ان ينكر المشركون والكافرون جميعاً في بعضها ويعترفوا في بعض آخر والجواب الاول هو العمدة ويليه في القوة الثاني

(الشاهد العاشر) قوله تعالى في سورة فصلت « قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ (الى قوله) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ » زعم المعترض ان هذا الكلام يفيد أمرين أحدهما انه خلق الارض والسموات في ثمانية أيام والآخر انه خلق السماء بعد الارض لاقبلها لكن الاول منقوض في بيعة بمراضع من القرآن بما معناه انه خلقهما وما بينهما في ستة أيام لافي ثمانية والثاني منقوض بقوله في سورة النازعات «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» . ونقول في الجواب عن الامر الاول إن من المستعمل الشائع عند العرب أن يقال مثلا سرت من القاهرة الى طنطا في يومين والى الاسكندرية في أربعة أيام ويراد في يومين آخرين كانا مع ماقبلهما أربعة أيام ولذلك لم يتوقف أحد من الصحابة في فهم الآية ولم ير مفسروهم كابن عباس وغيره ان هذه الآية تحتاج الى بيان وإنما اختلف في إعرابها وإعراب أمثالها النحاة فقدر بعضهم مضافا محذوفا للقرينة فقال المعنى « في تتمة أربعة أيام » كما قدروا في مثل « واسأل القرية » كلمة (أهل) أي اسأل أهل القرية وذهب الزمخشري الى ان الجار والمجرور خبر مبتدإ محذوف يفيد ان العمل او السفر كان في أربعة أيام على طريق التذليل ولما كان المعترض مطلعا على هذا ومقتنعا بحسنه في نفسه لم ير سبيلا لصرف الوجوه عنه الاشتم قائليه بتسميه ذلك تأولا من عبث الولدان وقد زين له تعصبه ان يقول انه لو صح هذا « للزم منه ان يقول بعد ذلك عن السموات فقضاهن سبع سموات في ستة أيام لا في يومين كما قال » واحتج على ذلك بزعمه فقال ان موضع التذليل آخر الكلام لا أوله . وقد تجاهل أن الآية التي تتعلق بخلق الارض قد تمت وجاءت التذليل في آخرها وأن الكلام في خلق السموات جاء في آية أخرى ابتدأت بثم التي تستعمل في التراخي في الزمن أو في رتبة العمل ونوعه بصرف النظر عن زمنه كقوله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها » وهكذا شأن أهل الغفلة والريب والتعصب الذميم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الامر الثاني فقد أخذه المعترض من اختلاف المفسرين في خلق السموات والارض أيهما أسبق لاختلاف فهمهم في الآيتين . وله بعض العذر — وهو ينظر بعين السخط والنقد — اذا آنس فيهما خلافاً أو شبهة خلاف فتشبث بها وصرف ذهنه عن الجمع بينهما بما جمع به المفسرون . واني أقول ان جميع المفسرين قد قصروا في تفسير أمثال هذه الآيات التي تتكلم في أمور المبدإ والمعاد وغير ذلك من الامور الغيبية ولهم العذر فان هذه الامور لم تذكر في الكتب المنزلة لشرح حقائقها وبيان كنهها بالتفصيل ولا لبيان تاريخها وإنما يذكر الخلق والتكوين للاستدلال على قدرة الله وعلمه وحكمته ولتوجيه الانظار الى الاعتبار بما في المخلوقات والمكونات من العلوم والحكم ووجوه المنافع . وقد أجاز بعض علماء اللاهوت من النصارى أن يجيء في الكتب المقدسة من العبر والدلائل الصحيحة ما ينبغي على اعتقاد الامم المخاطبة بها وان خالف الحقيقة لأن شرح الحقائق الكونية ليس من موضوع الدين وإنما موضوعه الهداية الى الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح وإنما أجازوه لانه كثير في كتبهم

ومن عجائب القرآن وضروب إعجازه انه يصوغ الحقائق في قوالب العبر فترى العبرة بادية يستفيد منها العوام والخواص والحقائق كامنة فيها يستخرج منها أصحاب القرائح والفهوم ما ينتهي اليه استعدادهم في كل زمن بحسب ارتقاء العقول وتقدم العلوم فيه . كان الناس يتلون فيه آيات التكوين منذ ثلاثة عشر قرناً فيهتدون بدلائلها ويتعظون بعبرها ولا يرون فيها شيئاً خالفاً الحقائق الكونية التي كشفها العلم . ثم ارتقى العلم الكوني في آخر هذه المدة وقرر أهله أشياء في أمور الخلق والتكوين تؤيد القرآن من حيث لا يعلمون . قالوا ان السموات والارض قد خلقتا من مادة تشبه الضباب سماها بعضهم سديما كانت مادة واحدة فانفطرت أو انفتقت فكان منها أجسام كرية الشكل انفصل منها كرات أخرى . وقد سبقت الاشارة الى ذلك في القرآن بمثل قوله تعالى «ثم استوى الى السماء وهي دخان» وقوله «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» وقوله «فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»

وقالوا إن هذه الارض لم تخلق هكذا ابتداء . إنما خلقت أطواراً فكانت نارية ثم مائعة ثم يابسة ليس فيها نبات ولا حيوان ثم صار فيها الحيوان والنبات وما حدث

www.alukah.net شبكة الألوكة

هذه الاطوار الا بالتدريج الطويل كل طور في زمن يليق به . وهذا التفصيل الذي قالوه يفسر الاجمال في قوله عز وجل « قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين » والمعنى ان أصل التكوين تم في زمنين (ولا تنس ماتقدم شرحه من استعمال كلمة يوم في مطلق الزمان) ولا يأبى ذلك ان تكون في أحدهما كرة نارية وفي الثاني مائعة. ثم قال انه بارك فيها وقدر فيها الاقوات حتى صارت صالحة للسكنى وارتفاق الاحياء في يومين تتمة أربعة أيام وذلك صريح أو كالصريح في طور اليابسة التي ظهرت في الماء وطور الاحياء التي ظهرت في اليابسة . ثم انتقل بعد هذا البيان الى ذكر خلق السماء فذكر أنها كانت دخانا وأنه خلقها في يومين أي في زمنين كل منهما تم فيه طور خاص فكان خلق السماء وتكوينها كخلق الارض. ولم يخبرنا بما قدر فيها بعد ذلك ولا بعدد الازمنة التي تدل على عدد الاطوار لان العبرة والاستدلال المقصودين من ذكر التكوين لا يتمان الا فيما للانسان فيه علم ما وان لنا علما ما بوجود السموات والارض فذكر لنا خلقهما وعلما بما في الارض من الاقوات والخيرات فذكر لنا خلق ذلك

فانت ترى انه لا يراد بالايام التي خلقت فيها السموات والارض أزمان متعاقبة بينهما ولا غير متعاقبة وإنما يراد بها الاشارة الى الاطوار ومن شأن الاطوار ان تتعاقب في كل شيء بحسبه « وَخَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا » فلو فرضنا ان الزمنين اللذين خلقت فيهما الارض هما الزمنان اللذان خلقت فيهما السماء بعينهما كما أن الطورين متحدان لما لزم من ذلك شيء يعترض به على التعبير، اذ ليس المراد بيان التقديم والتأخير. ومن هنا تعلم ان قوله بعد ذكر خلق الارض « ثم استوى الى السماء » لم يقصد به الترتيب في الزمن بل الترتيب في الذكر كأنه قال انا سقنا لكم هذه الآية من آيات قدرتنا وحكمتنا ثم انا نسوق لكم آية أخرى. واستعمال (ثم) في الترتيب الذكري كثير في القرآن وفي كلام العرب والمولدين

وأما قوله تعالى بعد ذكر خلق السماء في سورة النازعات « والارض بعد ذلك دحاها » فلا يدل على أن خلق الارض كان بعد خلق السماء ولا قبله إذ ليس معنى الدحو الخلق والتكوين وانما معناه تمهيدها للسكنى في نهاية الطور الرابع ولذلك وصل كلمة (دحاها) بتفسيرها فقال « أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » ولا شك ان هذا كله كان بعد خلق السماء ووجود الليل والنهار الذي عبر عنه بقوله « واغطش

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ليلها وأخرج ضحاها » فظهر أنه لاتناقض ولا تنافي ولاتخالف بين آيات (فصلت) وآية النازعات. ونموجوه أخرى ذكرها المفسرون تنطبق على اللغة وانما ذكرنا ماهو الراجح عندنا بحسب ماوصل اليه علمنا وفوق كل ذي علم عليم

القسم العمومي

نظام الحب والبغض - تابع ويتبع

ماهو الخير والشر ؟

هاتان الكلمتان (الخير والشر) ومارادفهما يرد ذكرهما كثيراً في العلم الباحث عن أحوال النفس ومعاملاتها بل عليهما مدار هذا العلم في أوامره ونواهيه لأن الأنسان في محبته طالب خير وفي بغضه هارب من شر . وهذا هو ديدن الانسان مدة حياته . وكل واحد يعتقد في الجهة التي يطلبها الخير لنفسه وفي الجهة التي يهرب منها الشر (اللهم الامبغضي ذواتهم) وكل واحد ينبسط للخير وينقبض من الشر . ولكن هل كل واحد يعرف ماهو الخير وما هو الشر وهل كل من اعتقد في جهة من الجهات الخير أو الشر مصيب ؟ لو كان كل واحد عارفاً بهما لكان كل واحد مصيباً في طلبه وهربه ولو كان كل واحد مصيباً لتضاءل الشر وتبارك الخير .

هذه القضايا مسلمة وبناء عليها نسأل ونقال لنا : من ذا الذي يتولى للناس تعريف هاتين الكلمتين ؟ فنقول هم الباحثون في أحوال النفس . فنسأل مرة أخرى ويقال لنا: من هم أولئك الباحثون ؟ هل هم الا أناس أمثالنا ؟ وفي هذا السؤال رائحة الإباء والاستنكاف فيجب ان يكون في الجواب رائحة الرفق والأناة فنقول: الباحثون في علم النفس أناس أمثال غيرهم من حيث الصور الجسدية وكذلك الباحثون في كل علم . ولكن لكل امرئ في هذه الحياة عمل تتفق له فيه اجادة لاتتفق لغيره سيما أن كان ذلك الغير ليس من أرباب ذلك العمل . مثاله الشاعر هو رجل وأنت ياأيها الفلاح رجل فلم أنت عاجز عما يعلمه ويعمله هو ؟ أليس لأنك لم تعان الشعر ؟ (بلى) واني أبشرك بأنه هو عاجز أيضاً عما تعلمه وتعمله أنت لانه لم يعان ماعانيته . كذلكم قولوا في الصائغ هو عاجز عما يعلمه ويعمله الخياط والثاني عاجز عما يعلمه الاول .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلكم قولوا في أرباب العلوم والصنائع كلها . ويومئذ لا يصعب عليكم ان تقولوا ان الذى يمانيه علماء النفس من التفكر والتذكر واختبار الاحوال وتجربة الأمور ربما لا يتفق لغيرهم ان يمانوه . فاذا كانوا أمثالهم من جهة صورة الجسد لا يلزم ان يكونوا أمثالهم من جهة صورة الفكر . ولعمركم ان ابن خلدون والغزالي لا يحصى مشابهوهما في الخلقة ولكن مشابهوهما ومقاربوهما في صنعتيهما يعدون على الأصابع وربما لا يبلغون عدد أصابع الكفين .

فاذا علم السائل هذا وسهل عليه ان يعرّف له علماء النفس (في انفرادها واجتماعها) الخير والشر فليصغ الى ما اقتبسناه منهم بفكر خالص من الوهم والتقليد وليتأمله بعقله المستفاد لا بعقله المستعار .

« الخير هو استعمال الانسان ما خلق الله له من القوى والاستعدادات فيما خلقت لأجله استعمالا مشروعاً (أى تابعا لشرع) يراعى فيه حق الغير » والشر ضده أى عدم الاستعمال مطلقا أو الاستعمال في غير ما خلقت لأجلها أو الاستعمال الذى ليس بتابع لشرع .

هذا التعريف واف جامع لكن التعاريف في الحقيقة لا يستغنى بها الناس عن الشروح والايضاحات والأمثلة (اللهم الا أذكى الاذكياء) فكأنها انما تسطر لتكون قاعدة وأصلا للشروح ولتحفظ عبارتها الجامعة بعد ان يحيط الناس خبراً بالمشبهة من الايضاحات والأمثلة .

ان الله جل شأنه قد خلق في الانسان قوى واستعدادات بعضها نصيبها مباشرة المحسوسات وبعضها نصيبها ملاحظة المعقولات فكل ما يستعمل فيه الانسان قواه وينالها يلتذ به وكل ما يلتذ به الانسان خير الا لذة تؤدي الى ألم أو لذة يغصب فيها حق الغير . وكل ما يمنع الانسان عن استعمال القوى فهو شر .

(مثال أول) أنت اذا أكلت فمعناه (١) انك تمكنت من ان تأكل وهو دليل عدم مرضك وعدم حرمانك من حصول الطعم . و (٢) انك استعملت القوة المخلوقة لك لأجل الأكل لحكمة حياتك وهو دليل عجبك لذاتك لأنك لو لم تستعملها لم تحي . ودليل انك وافقت الفطرة التي فطرك الله عليها . و (٣) انك تلذذت في أكلك وهو دليل سلامة حواسك . وكل هذه الاشياء لا شك في كونها خيراً . أما اذا أكلت فوق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشبع وانك سوف تتألم إما عاجلا وإما آجلا . وقد عطلت فى هذا الأكل القوة التى تستطيع بها ان تأكل . وتألمت لذلك فيما بعد . وخالفت الأدب . وكل هذه شر . وكذلك اذا تعديت في أكلك على حق الغير كأن غصبت الذي أكلته من غيرك فإن هذا يؤدي الى ان يشاجرك عليه وقد يقوى عليك بقوته أو القوة المؤلفة لحفظ الحقوق (قوة الحكومات) واذا قوى عليك فقد يغصب منك ماتحتاج اليه وقد يعطل فيك أعمالا تمنعك عن الالتذاذ بالأكل . وكذلك اذا استعملت القوة فى غير ماخلقت لاجله كما اذا أكلت سما أو ترابا . أو لم تستعملها ألبتة كبعض الذين يعملون ذلك ويجوعون أياماً كثيرة عمداً . فكل هذه المذكورات شر .

(مثال ثان) وأنت اذا واقعت فمعناه (١) انك تمكنت من الوقاع ولم يمنعك مانع . و (٢) انك استعملت القوة المخلوقة فيك لاجل الوقاع لحكمة بقاء النوع . و(٣) انك وافقت الفطرة . و (٤) انك أحببت غيرك و(٤) انك تلذذت . وكل هذه المذكورات دليل سلامة حواسك وسلامة فطرتك وسلامة عقلك ودليل أمنك من الموانع الغيرية كالموانع الذاتية . وكلها خير اذا كان وقاعك تابعاً لنظام . أما اذا أفرطت في الوقاع افراطاً يعطل القوة أو استعملت القوة في غير ماخلقت لاجله كأن واقعت بهيمة أو دبرا أو أهملت الوقاع المشروع من غير مانع . فإن هذه الاشياء عين الشر .

(مثال ثالث) وأنت اذا اكتسيت فمعناه (١) انك حصلت ماتتقي به الحر والبرد و(٢) انه أحبك الغير اذ عمل لك ماتلبس وأحببت الغير اذ سترت عن عينه ماربما يكره ان يراه و(٣) انك أحببت ذاتك اذ وقيتها أو زينتها . وكل هذه خير . أما اذا لبست مالا عدل فيه كلبس مالا يلائم عملك كديباج وأنت تعمل في الطين أو قطب غليظ وأنت حاكم أو بزاز وكلبس شيء يليق بالاناث دون الرجال وكالتزين بشيء يحتاجه الناس للمبادلة أشد الاحتياج . أو أبغضت ذاتك فلم تلبس اولبست مايلائم عملك أو لبست مالا يلائم الزمان كلبس أخف الثياب في أشد الايام برداً وبالعكس . فكل هذه وما أشبهها من الاشياء التى لاعدل فيها شر .

(مثال رابع) وأنت اذا أويت الى ميت وبت فى أمان فمعناه (١) انك نلت حاجة لايملو فيها عليك الملوك الا بالزخرف . و (٢) انك نلت من فوائد اشتراكك مع الهيئة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المجتمعة لأنك ماوجدت هذا الميت الا بفضل اجتماعهم ولا وجدت هذا الأمان الا بفضل التكافل المشروط طبعاً ووضعاً وشرعاً ولولا ماذكرنا لما كان ميتك أفضل من جحر الوحش ولا كنت بآمن من حمام بين صقور، ولا آنس من حي بين موتى القبور، فقدر هذا الخير بنظرك لتعلم فضل غيرك على ذاتك ولتعلم ان لذاتك فضلا على غيرك به استوجبت فضله عليك. ولتعلم من هذا ان الأمر تكافؤ وتكافل. لاتطول وتفضل، وان الفضل كله لله وحده، وان الخيرات لاتعدو ناطرفة عين ولكننا غافلون نجلب الشر على أنفسنا بأنفسنا حنيناً منا الى جهالات سبقت ونحن لها متوارثون الى ان يأذن الله بقشعها رويداً رويداً.

أما اذا استوحشت نفسك وتشبهت بالوحوش في مساكنها ومعايشها فمعناه انك أهملت الاستعداد الذي فيك وخالفت الفطرة وابغضت ذاتك فلا شك بأن هذه الحالة من الشر.

(مثال خامس) وأنت اذا تفكرت في خواص المحسوسات وعجائب المعقولات فأنت يومئذ الخير العظيم يوم ينتج تفكرك علماً وعلمك عملا وعملك نفعاً عميما وشرفا لنوع عظيما. بربكم قولوا لنا اذا استثنينا من هذا النوع أولي الالباب من الانبياء وذوي الافكار من الحكماء والمخترعين والمعلمين فأية مزية تبقى في الباقين وأي شرف لهم؟ أولئك هم مفاتح أبواب الخير ومصادر الشرف الاعلى لهذا النوع. أما من أساء استعمال التفكر كأن تفكر بالعدوان وأساليبه فهو الشر العظيم. ومثله أو قريب منه من أهمل الفكر لأنه يصعب علينا ان نفرق بين عامل بالشر وحامل عليه لانه تفكر وبين واقع في الشر ومحمول عليه لانه لم يتفكر. نسأل الله السلامة لأفكارنا من ان نهملها ومن ان نعملها في باطل ومن ان نعميها بالتقليد.

هذا ويرى القارئ اننا تساهلنا أو سهلنا العبارة وتنازلنا بالتمثيل الى أمور ليس ادراكها بالصعب فربما ظن اننا نكتب كتاباً لقراءة المبتدئين. وهذا الظن قد ينشأ من أمرين الاول الاسلوب الذي التزمناه لزيادة التوضيح وعدلنا به عن سرد الكلام والثاني استصغار هذه الامور التي مثلنا بها. ولما كان الواقع يكبر هذه الامور التي سبكنا نضار حقائقها بقالب سهل المأخذ وجب ان نزيدها تبيانا ونزيد الخير والشر تعريفاً:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ان الانسان هذا المخلوق العظيم ، صاحب العقل المنير ، صاحب الرأي والتدبير ، صاحب السلطان على مخلوقات الارض ، والاشراف على مصنوعات السماء ، صاحب التمدين والاجتماع ، صاحب الابداع والاختراع ، صاحب المنطق المفيد ، والعزم الشديد ، صاحب الصورة التامة ، والروح العالية ، صاحب المآثر والآثار ، كاشف الخواصّ والاسرار ، هذا السائد بالفكر الممتاز به لم يخرج في كل مزاياه التي عددناها وغيرها مما يعجز القلم عن تصويرها تصويراً شعرياً خيالياً أو حقيقياً عن كونه حيواناً محتاجاً كالحيوانات الى طعام وشراب ومأوى مسوقاً من طبيعة خلقته الى الوقاع ومعالجة ألم الباه . فهب اننا سميناه قطب هذا الوجود ، وصفوة السر من كل موجود ، وهب اننا رفعنا علومه فوق الشمس مقاماً وضياء . وأحللنا فضائله فوق التصور درجة واستقصاء ، ونوهنا بمنزلته عند خالقه ، وعظمنا الاعتبار للطيبي من خلائقه ، أفنستطيع ان نقول انه مقدّس عن المطعم والمأوى والمنكح ، بعد ما اختبرناه دهوراً دهاريز ، وبلوناه فذا وفي العير والنفير . هل علمنا منه غير كونه هلوعاً . اذا مسه الخير مما يغذوه ويكسوه كان منوعاً ، واذا مسه الشر من جوع وعرى كان جزوعاً . هل عهدنا به الا التقاتل من طمع أفراده وجبهم الاستئثار ؟

هذا هو الانسان الذي يمرمون ماضيه وما انتم عن حاضره بغافلين . هذا هو المخلوق الذي فطره خالقه محتاجاً ويسر له ما يحتاج اليه وخلق فيه سائقاً يسوقه نحوه وجاذباً يجذبه ودافعاً يدفع ما يرى استغناءه عنه . أفتسمي هذا التركيب الذي ركبه الصانع شرّاً . أم عمل المخلوق بحسب التركيب . أم تيسر الحاجة التي لابد منها . أم اللذة الطبيعية في نيل هذه الحاجة ؟ واذا لم تكن هذه شراً فهل بقي الا الخير ؟

سيقول قائلون ان هذا الاحتياج لا يدفعه الانسان عن نفسه بتحصيل الحاجة الاّ بكد ونصب وقصارى الامر في حصول الحاجة انها تسكن ألما تقدم الحصول فهب اننا سمينا تلك الامور خيراً أفليس الشر قبلها وبعدها .

هذا كلام له وجه ظاهر ولكن ههنا اعتقادان في حياة الانسان احدهما ان الانسان يستفيد منها والآخر انه لا يستفيد فإن كان السائل ممن يعتقدون استفادة الانسان من الحياة فجوابنا له ان الالم السابق الذي يسكنه نيل الحاجة وتعقبه بهذا النيل اللذة ليس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شعراً بل هو لتعرف به اللذة ويشعر بها ولو كانت دائمة لما أحسّ بها المرء وهذا كسبق العدم على الوجود والجهل على العلم والضعف في الطفولية على القوة في الرجولية ونظائر ماذكرنا . على انه اذا سمينا تلك الآلام وما يتبعها من لزوم الكد والنصب والمجاهدة شروراً فلا ضير فيها اذا كانت الخيرات تدفعها وتربوها ويدلنا على ذلك استعذاب الحياة مع كل المرارات التي تصادف في سبيلها وماذلك الا لان الخيرات لايطول احتجابها كالشمس اذا حجبها الدجى واستأنف النهار يشرق بضيائها. وان كان السائل ممن لايقولون بالاستفادة الانسان من الحياة فجوابنا له: اذا كانت الحياة من أعلها حملا ثقيلا والاحوال فيها متضادة ومتعاقبة يعقب الضدّ فيها الضد فهما صادفنا الضد الذي نرتاح به زمناً من الازمان كان جديراً بنا ان نفضله على ضده الذي يتعبنا . وهذا هو معنى الخير والشر اللذان هما ضدّان . على انك يامنكر الاستفادة من الحياة يشم منك رائحة اتباع الخيالات الفاسدة ويتفرس فيك انك مبغض أوستبغض ذاتك . ويتوقع بك كل شر فدعني منك .

ان هذا الانسان البديع خلقه لم يخلقه الخالق عبثاً وانه خلق لامر عظيم . وانه سائر الى كمال بديع . وانه شاء أو أبي يحيا في هذه الدار محباً للحياة . ويكدّ فيها غير مالّ من الكدّ . وان الصانع خلق له مافي الارض جميعاً . وقسم بين أفراده الاعمال . وخصّ كل عامل بما يناسب عمله من طعام ولباس ومبيت . وأعان كل عامل على عمله . وعلمه مالم يعلم . وتحفه بهذا الفكر العجيب . الذي به امتيازه العالي . فانقسم الانسان بحسب جسده وفكره بين جهتين تتعاور عليه فيهما الخيرات والشرور التي جعلها الصانع ممتزجة بعضها . وجعل للجسد من الخيرات لذات المطاعم والمشارب والمناكح والمساكن . وللفكر من الخيرات لذات الادراك للامور البعيدة والاختراعات العجيبة . والتأثيرات المعنوية الغريبة . وجعل الخيرات متيسرة ، ولكن تجاوز الحدود هو الذي يوفر الشرور . وتجاوز الحدود أكثر ماينشأ من قلة التفكر وعدم العلم بنظام الحب والبغض أي بأحوال النفوس في انفرادها واجتماعها . ومن أحب ذاته حق المحبة هيهات ان يظلمها . ومن أراد ان لايظلم نفسه فليحارب من لايظلمون غيرهم وليحارب من يظلمون . فلا جناح علينا ان نبيع الحياة وهي أغلى شيء في جهاد الذين يظلمون غيرهم لعلنا نحيا لا نظلم ولا نظلم . أو يحيا أبناؤنا من بعدنا على هذه الشاكلة . لعلنا نحيا عالمين أن ذوات غيرنا كذواتنا فنأخذ مالناوندع لهم مالهم . لعلنا نحيا متعاونين فنحن كلنا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أخوة. سواء بالحياة والممات. سواء بالحاجة للاكل والشرب والنكاح. سواء بالتكلم والتفكر اللذين يميزاننا عن العجماوات. سواء بالفرح والالم اذا فزنا أو خبنا. سواء بالخوف والرجاء في يومنا وغدنا.

ونحن سواء بالتفكر والعنا ... بتحصيل ما نحتاج في كل معمل
نرى أعجزنا ان نسالم بعضنا ... لنسلم من عدواننا والتقلقل
نرى أعجزنا ان نعاف رذائلا ... ونهجر أوهاماً رمتنا باحبل

اللهم الهمنا رشدنا وأعنا في استثمار الخيرات الموهوبة لافكارنا إنك مفيض الخير، وأنت المستغني وحدك عن الغير.

ـ تتمة بقية ـ (ع ز)

آثار علمية

نموذج من دلائل الاعجاز (*)

تمتاز كتب الامام عبد القاهر الجرجاني واضع فنون البلاغة (رحمه الله تعالى) على سائر الكتب التي ألفت من بعده بعدة مزايا منها أن عباراتها بليغة. وأساليبها رشيقة. ومنها تصوير المعاني شخوصا تامة سوية. حتى كأن المعقولات ملموسة مرئية. ومنها كثرة إيراد الشواهد والامثلة على الوجه الذي اختاره الاوربيون ومقلدوهم في كتب التعليم لهذا العهد. واننا نورد هنا نموذجا من كتاب دلائل الاعجاز في علم المعاني وذلك من حيث انتهينا في الطبع بمطبعتنا (المكراسة أو الملزمة ٤٤). بين رحمه الله في فصول متعددة فساد رأي الذين ذهبوا الى أن الفصاحة والبلاغة صفة للفظ دون النظم والاسلوب باعتبار تصوير المعنى ثم ختم ذلك بفصل في الموازنة بين المذهبين فقال:

فصل

قد بلغنا في مداواة الناس من دائهم وعلاج الفساد الذي عرض في أرائهم كل مبلغ، وانتهينا الى كل غاية. وأخذنا بهم عن المجاهل التي

(*) ان هذا النموذج نموذج للطبع أيضاً فالكتاب يطبع بهذه الحروف

www.alukah.net إحدى شبكة الألوكة

كانوا يتعسفون فيها الى السنن اللاحب ، ونقلناهم عن الآجن المطروق الى النمير الذي يشفي غليل الشارب . ولم ندع لباطلهم عرقا ينبض الا كويناه ، ولا للخلاف لسانا ينطق الا أخرسناه . ولم نترك غطاء كان على بصر ذي عقل الا حسرناه ، فيأيها السامع لما قلناه . والناظر فيما كتبناه ، والمتصفح لما دوّناه ، ان كنت سمعت سماع صادق الرغبة في أن تكون في أمرك على بصيرة ، ونظرت نظر تام العناية في أن يورد ويصدر عن معرفة ، وتصفحت تصفح من اذا مارس باباً من العلم لم يقنعه الا أن يكون على ذروة السنام ، ويضرب بالمعلى من السهام ، فقد هديت لضالتك ، وفتح لك الطريق الى بغيتك ، وهيء لك الاداة التي بها تبالغ ، وأوتيت الآلة التي معها تصل ، فخذ لنفسك بالتي هي املأ ليديك ، وأعود بالحظ عليك ، ووازن بين حالك الآن ، وقد تنبهت من من رقدتك ، وأفقت من غفلتك ، وصرت تعلم ـ اذا أنت خضت في أمر اللفظ والنظم ـ معنى ماتذكر ، وتعلم كيف تورد وتصدر ، وبينها (١) وأنت من أمرها في عمياء ، وخابط خبط عشواء ، فصارك أن تكرر ألفاظا لاتعرف لشيء منها تفسيرا ، وضروب كلام للبلغاء ان سئلت عن اغراضهم فيها لم تستطع لها تبيينا ، فانك تراك تطيل التعجب من غفلتك ، وتكثر الاعتذار الى عقلك ، من الذي كنت عليه طول مدتك ، ونسأل الله تعالى أن يجعل كل ماتأتيه ، ونقصده ونتحيه ، لوجهه خالصا ، والى رضاه عز وجل مؤديا ، ولثوابه مقتضيا ، وللزلفى عنده موجبا بمنه وفضله ورحمته

(ثم عقد فصلا لكشف شبهة الذين جعلوا الفصاحة والبلاغة للالفاظ فقال :)

(١) قوله « وبينها » عطف على قوله « بين حالك الآن »

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم انه لما كان الغلط الذي دخل على الناس فى حديث اللفظ كالداء الذي يسري فى العروق ، ويفسد مزاج البدن،وجب ان يتوخى دائبا فيهم مايتوخاه الطبيب فى الناقه من تعهده بما يزيد فى مُنَّته ، ويبقيه على صحته ، ويؤمنه النكس فى علته ، وقد علمنا ان أصل الفساد وسبب الآفة هو ذهابهم عن أن من شأن المعاني ان تختلف عليها الصور ، وتحدث فيها خواص ومزايا من بعد أن لاتكون ، فإنك ترى الشاعر قدعمد الى معنى مبتذل فصنع فيه مايصنع الصانع الحاذق اذا هو أغرب فى صنعة خاتم وعمل شَنَفٍ وغيرهما من أصناف الحلي . فان جهلهم بذلك من حالها هو الذي أغواهم واستهواهم ، وورطهم فيما تورطوا فيه من الجهالات ، وادأهم الى التعلق بالمحالات ، وذلك انهم لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لانفسهم أساساً وبنوا على قاعدة،فقالوا انه ليس الا المعنى واللفظ ولاثالث وانه اذا كان كذلك وجب اذا كان لاحد الكلامين فضيلة لاتكون للآخر ثم كان الغرض من احدهما هو الغرض من صاحبه ان يكون مرجع تلك الفضيلة الى اللفظ خاصة وأن لايكون لها مرجع الى المعنى من حيث ان ذلك زعموا يؤدي الى التناقض وان يكون معناهما متغايرا وغير متغاير معا . ولما أقروا هذا فى نفوسهم حملوا كلام العلماء فى كل مانسبوا فيه الفضيلة الى اللفظ على ظاهره وأبوا أن ينظروا فى الاوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة الى اللفظ مثل قولهم : لفظ متمكن غير قلق ولا نابٍ به موضعه الى سائر ماذكرناه قبل فيعلموا انهم لم يوجبوا للفظ ماأوجبوه من الفضيلة وهم يعنون نطق اللسان وأجراس الحروف ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم ان يقولوا اللفظ

وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى والخاصة التي حدثت فيه ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال : وذهب الشيخ الى استحسان المعاني والمعاني مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي والعجمي والحضري والبدوي وانما الشعر صياغة (١) وضرب من التصوير : وما يعنونه اذا قالوا : انه يأخذ الحديث فينشفه ويقرطه ، ويأخذ المعنى خرزة فيرده جوهرة ، وعباءة فيجعله ديباجة ، ويأخذه عاطلا فيرده حاليا ، : وليس كون هذا مرادهم بحيث كان ينبغي أن يخفى هذا الخفاء ويشتبه هذا الاشتباه ولكن اذا تعاطى الشيء غير أهله ، وتولى الامر غير البصير به ، أعضل الداء ، واشتد البلاء ، ولو لم يكن من الدليل على انهم لم يجعلوا اللفظ الفضيلة وهم يريدونه نفسه وعلى الحقيقة الا واحد وهو وصفهم له بانه يزين المعنى وانه حلي له لكان فيه الكفاية . وذلك ان الالفاظ أدلة على المعاني وليس للدليل الا أن يعلمك الشيء على ما يكون عليه نأما أن يصير الشيء بالدليل على صفة لم يكن عليها فما لا يقوم في عقل ، ولا يتصور في وهم »

(ثم ذكر الاخذ والسرقة وبين ان الفاظ يكون بالاسلوب لا بالألفاظ ثم أورد الامثلة فقال)

ثم ان أردت مثالا في ذلك فان من أحسن شيء فيه ما صنع أبو تمام في بيت أبي نُخَيْلَة وذلك ان أبا نخيلة قال في مَسلمة بن عبد الملك :

أمسلم اني يا ابن كل خليفة ... وياجبل الدنيا وياواحد الارض
شكرتك ان الشكر حبل من التقى ... وما كل من أوليته صالحا يقضي
وأنبهت لي ذكري وما كان خاملا ... ولكن بعض الذكر أنبه من بعض (٢)

فعمد أبو تمام الى هذا البيت الاخير فقال :

(١) اي كلامنا الآن في انهم الخ مبتدأ وخبر (٢) وفي روايته ونوهت لي باسمي »

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لتدزدت أوضاحي امتداداولم أكن بهيماولا أرضي من الارض مجهلا(١)
ولكن أياد صادفتني جسامها أغرّ فأوفت بي أغر محجلا

وفى كتاب الشعر والشعراء للمرزباني فصل فى هذا المعنى حسن قال: ومن الامثال القديمة قولهم «حرًّا أخاف على جاني كمأة لاقرًّا» يضرب مثلا للذي يخاف من شيء فيسلم منه ويصيبه غيره مما لم يخفه فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال: (٢)

وحذرت من أمر فرّ بجانبي لم ينكني ولقيت مالم أحذر

وقال لبيد:

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والاسد(٣)

قال وأخذه البحتري فأحسن وطفى اقتداراً على العبارة واتساعا فى المعنى فقال:

لو انني أوفي التجارب حقها فيما أرت لرجوت ماأخشاه

وشبيه بهذا الفصل فصل آخر من هذا الكتاب (٤) أيضاً أنشد (٥) لابراهيم بن المهدي:

يامن لقلب صيغ من صخرة في جسد من لؤلؤ رطب
جرحت خديه بلحظي فما برحت حتى اقتصّ من قلبي

ثم قال: قال علي بن هارون أخذه أحمد بن أبي فنن معنى ولفظاً فقال: (٦)

(١) الاوضاح جمع وضح وهو البياض (٢) وقيل في هذا المعنى

نرى الشيء مما يتقى فنهابه ومالا نرى مما يتقي الله أكثر

(٣) اربد هو أخو لبيد قتله الصاعقة بدعاء النبي (ص) وكان مع عامر بن الطفيل يريدان قتله عليه الصلاة والسلام (٤) يريد كتاب المرزباني (٥) أي المرزباني (٦) قد أكثر الشعراء تجاذب هذا المعنى وحسنه بعضهم بالاقتباس فقال

الى الله أشكو عشق ظبي مهفهف ومالي من يديه خلاص

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أدميت باللحظات وجنته فاقتص ناظره من القلب

قال: ولكنه بنقاء عبارته وحسن مأخذه قد صار أولى به: ففي هذا دليل لمن عقل انهم لا يعنون بحسن العبارة مجرد اللفظ ولكن صورة وصنفه وخصوصية تحدث في المعنى وشيئاً طريق معرفته على الجملة العقل دون السمع فانه على كل حال لم يقل في البحتري انه أحسن فظنى اقتدارا على العبارة من أجل حروف * لو انني أوفي التجارب حقها * وكذلك لم يصف ابن أبي فنن بنقاء العبارة من أجل حروف * أدميت باللحظات وجنته *

(ثم عقد فصلا للموازنة بين نظم المعنى المتحد، في اللفظ المتعدد، فقال)

وقد أردت ان أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلا ساذجا وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب، وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصوّر. وأبدأ بالقسم الاول الذي يكون المعنى في أحد البيتين غفلا وفي الآخر مصوّرا مصنوعا ويكون ذلك إما لان متأخرا قصر عن متقدم وإما لان هدي متأخر لشيء لم يهتد اليه المتقدم ومثال ذلك قول المتنبي:

بِشْرُ اللَّيالي سَهِرْتُ من طَرَبِي شَوْقًا إلى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُها

مع قول البحتري:

لَيْلٌ يُصَادِفُنِي ومُرْهَفَةَ الْحَشَا ضِدَّيْنِ أَسْهَرُهُ لَهَا وَتَنَامُهُ

جرحت بعيني خده وهو جارح بعينيه قلبي والجروح قصاص

وأوردته في مورد الاحتجاج احدى الحسان فقالت

ألحاظنا تجرح حكم في الحشا ولحظكم يجرح حسا في الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا فما الذي أوجب جرح الصدود

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقول البحتري :

وَلَوْ مَلَكْتُ زَمَاعًا ظَلَّ يَجْذِبُنِي ... قَوْدًا لَكَانَ نَدَى كَفَّيْكَ مِنْ عَقَلِي (١)

مع قول المتنبي :

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذُرَاكَ مَحَبَّةً ... وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا

وقول المتنبي:

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الأَرْضُ ... وَمَنْ فَوْقَهَا وَالبَأْسُ وَالكَرَمُ المَحْضُ

مع قول البحتري :

ظَلِلْنَا نَعُودُ الجُودَ مِنْ وَعْكِكَ الَّذِي ... وَجَدْتَ وَقُلْنَا اعْتَلَّ عِضْوٌ مِنَ المَجْدِ

وقول المتنبي :

يُعْطِيكَ مُبْتَدِئًا فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ ... أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا

مع قول أبي تمام :

أَخُو عَزَمَاتٍ فِعْلُهُ فِعْلُ مُحْسِنٍ ... إِلَيْنَا وَلَكِنْ عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبِ

وقول المتنبي :

كَرِيمٌ مَتَى اسْتَرْهَبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ ... وَقَدْ لَفَحَتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ نَازِلُ (٢)

مع قول البحتري

مَاضٍ عَلَى عَزْمِهِ فِي الجِدِّ لَوْ وَهَبَ الشَّـ ... ـبَابَ يَوْمَ لِقَاءِ البِيضِ مَا نَدِمَا (٣)

وقول المتنبي:

وَالَّذِي يَشْهَدُ الوَغَى سَاكِنَ الـ ... ـقَلْبِ كَأَنَّ القِتَالَ فِيهِ ذِمَامُ

---

(١) أراد من انزماع العزم على الرجوع الى أهله (٢) لفحت الحرب هاجت بعد سكون ويقال لفحت العداوة بمعناه (٣) ظاهر انه يريد بالبيض النساء الحسان وإن تخيل هبة الشباب في ذلك اليوم لأبعد شوط وآخر غاية ينتهي اليها خيال الشاعر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

باب الأحبار والأئمة

﴿ البابا لاون الثالث عشر ـ ترجمته ﴾

في يوم الاثنين الماضي (٢٠ يوليو) توفي عظيم النصرانية ورئيس الطائفة الكبرى فيها بابا رومية عن ثلاث وتسعين سنة قضى جلها في خدمة مذهبه الكاثوليكي منها خمس وعشرون سنة أو ربع قرن في منصب البابوية وقد كان لسياسته من التأثير في عالم النصرانية والمدنية مالم يكن في حسبان أحد من العالمين وكاتب هذه السطور يعتقد أنه كان أعقل رجال أوربا وأعلاهم كعبا في السياسة. وانا نذكر من ترجمته مافيه العبرة للمسلمين كما يليق بمجلة إسلامية مثل المنار فلا تقل أيها المسلم ماهذه المجلة الاسلامية ، ولزعماء النصرانية ،

الكاثوليك أكثر فرق النصارى عددا واعتقادهم في البابا كاعتقاد أكثر المسلمين في الخليفة أو أمير المؤمنين من حيث الرياسة الدينية والدنيوية في الجملة وكاعتقاد بعض الفرق الاسلامية في وجوب عصمة الامام الحق ثم انه ينتخب من طائفة مخصوصة ولا يأخذ هذا المنصب بالوراثة وتلك سنة الاسلام في انتخاب الامام من طائفة مخصوصة. قال ياقوت في معجمه « والبابا رئيس الفرنج هو عندهم نائب المسيح كما هو أمير المؤمنين عند المسلمين ينفذ أمره في جميع مايتعلق بالدين في جميعهم » وقال الشريف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق : «وفي مدينة رومة قصر الملك المسمى البابة وليس فوق البابة فوق في القدر والملوك دونه ويقيمونه مقام الباري جل وعز — الى ان قال — وحكمه نافذ ماض على جميع ملوك الروم ولايقدر أحد منهم يرد عليه » وقال أبو الفداء في كتاب تقويم البلدان عن أهل ميزة « وليس لهم ملك وانما مرجعهم الى الباب خليفة النصارى » وقال عن رومية : «وهي مدينة مشهورة ومقر خليفة النصارى المسمى بالباب» وقد تكلم ابن خلدون عن هذه الرياسة وصاحبها بايضاح تام ولهذا كله قال بعض علماء أوربا ان البابوية أو النصرانية مقتبسة من الاسلام

جلس لاون الثالث عشر على كرسي هذه الخلافة (سنة ١٨٧٨م) وأوربا بقضها وقضيضها

وعلومها وصناعتها ومدنيتها معادية للكاثوليك أشد من معاداتها للاسلام لأنها تعتقد ان الكاثوليك والبابوية من الامراض الباطنية التي أصابت الوطن في القلب والكبد والرئتين فهي تفتأ تفتك به حتى تبيده فالكثلكة خطر في الباطن تحارب خوفا وحذراً من شرها وأما الاسلام فهو عدو على البعد يحارب طعما في أرضه وديارة . ولكن البابا لاون الثالث عشر حوّل بسياسته ودهائه ذلك العداء الى ولاء ، وذلك الاستخفاف والاحتقار، الى اجلال واعتبار ، والفضل في ذلك لحسن الانتخاب والاختيار، اذ لو كان هذا المنصب وراثيا لما ارتقى اليه مثل هذا الرجل

ولد ليون الثالث عشر (وكان اسمه قبل البابوية بتشي) في ٢ مارت سنة ١٨١٠م في بلدة كاربنتو من ايطاليا وتعلم التعليم الابتدائي في مدرسة الجزويت ببلدة فيتربو وجاء رومية سنة ١٨٢٤ وأتم دروسه بمدرسة الجزويت فيها ثم بمدرسة رومية الجامعة وعني أولا بالعلوم الطبيعية والكيمياء حتى نبغ فيها ثم اشتغل بآداب اللغة اللاتينية حتى عدّ من الكتاب البلغاء والشعراء المجيدين ثم درس علوم الفلسفة واللاهوت فأتقنهما ومنح لقب «دكتور» في الفلسفة . ثم وجه عنايته الى علم الحقوق فبرع حتى أخذ الشهادة العالية فيه من مدرسة رومية الجامعة

وفي سنة ١٨٣٧ عين قسّاً ونائبا عن البابا في بعض البلاد وفي سنة ١٨٤٣ عين رئيسا لاساقفة دمياط ثم وكيلا للبابا في بروكسل عاصمة بلجيكا فاقام في تلك البلاد ثلاث سنين منحه ملكها في آخرها وسام (ليوبولد) من الدرجة الأولى وهو من أعلى الوسامات عنده . وفي سنة ١٨٤٦ عين رئيسا لاساقفة بيروز . وقد لبث في منصب الاسقفية ٣٢ سنة كان فيها حسن السلوك يستتيب اللصوص والبغاة المعتدين حتى خلت منهم السجون التي كانت ممتلئة بهم قبل عهده . وفي سنة ١٨٧٧ صار كردينالا ومديرا في الفاتيكان والكنيسة الرومانية . وفي سنة ١٨٧٨ توفي البابا بيوس التاسع فانتخب خلفاله . وقد ذكرنا هذه النبذة الوجيزة في تعليمه وتقلبه في الاعمال الدينية لأجل المقابلة بين تربية رؤسائهم ورؤسائنا حتى لا يعجب أحد من تقدمهم وتأخرنا

اذا سأل المسلم عن كيفية تربية رئيس أمته العام من أمير وسلطان أو ولي عهدهما أو الرئيس الخاص كشيخ الاسلام في الاستانة وشيخ الازهر في مصر وسأل ماذا

تعلم هؤلاء من العلوم التي لابد منها للأمة التي يرأسونها وماهي الاعمال والمناصب التي تقلبوا فيها فتظهر استعدادهم لخدمة الامة فرشحوا لها بسببها: فماذا يكون جواب هذا السائل ؟ لعل الاكثرين يجيبونه بأن الواجب علينا ان نقبل رياستهم من غير سؤال عن استعدادهم وعن علومهم وأعمالهم ومن تحدث بشيء من ذلك فهو عدو للملة والدين، وفتنة لجميع المسلمين ، وذلك أن الامة في طور الضعف لايرضيها الا ان يمدح منها كل شيء وذلك أنها تشعر بفقد مقومات السعادة بالفعل فتحب أن تخادع نفسها بالمدح كما يتكبر الوضيع ويتنفج ليظهر في مظهر الكبراء

فقد الكاثوليك السلطة الدنيوية سلبها الملوك من البابا الذي كان يفيضها عليهم ولو تسنى لهم في أي يوم من الايام إرجاعها لوجدوا في الفاتيكان رجالا يديرونها أحسن مما يديرها ملك إيطاليا وحكومته في جميع أصولها الادارية والمالية والقضائية والعسكرية لأن رجال الدين عندهم يتعلمون كل شيء . أرأيتك هؤلاء الذين يسمون رجال الدين في الاسلام اذا قيل لهم — وهم يشكون من خروج الاحكام عن الشرع الا مايسمونه الامور الشخصية ومحاكمها على خطر —: تعالوا فأديروا أعمال الحكومة الكلية من إدارية ومالية وحربية وقضائية وسياسية (خارجية) وغير ذلك أيجدون في الأزهر من يحسن عملا من هذه الاعمال كما يجد الكاثوليك في الفاتيكان ؟ أني وهم الى اليوم يتنازعون بينهم: هل علم تقويم البلدان يقطع على الطالب طريق الدين أم لا ؟ الجمهور على انه يقطع وأنه ينبغي ان لايقرأ في الازهر . وهل الحساب العملي والهندسة العملية يفسدان العقل حتى يضعف استعداده لفهم العلوم الدينية أم لا ؟ الجمهور على أنه يفسد العقل وينبغي أن لايدرس في الازهر كما صرح بذلك الشيخ (ثابت بن منصور) والشيخ محمد راضي البحراوي من كبار المدرسين هناك في مقالاتهما المنشورة في المؤيد ثم أني يجدون في الازهر من يحسن عملا ما وليس فيه من يعدّ لعمل ما الا القضاء الشرعي وهؤلاء القضاة الشارحون منه تبكي من سيرة أكثرهم السماء والارض وتستغيث العدالة بلسان المظلومين المهضومين بأن ينتدها الله منهم ويرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون .

ولقد كان رجال الكاثوليك في يوم مضى مثل رجال الازهر يمدون كل علوم

العمران حجابا دون الدين حتى كأن الدين آلة الخراب والدمار وكان أكثر علمهم على رأي رجال الدين كما هو الشأن عندنا حتى اليوم . ولكنهم لم يلبثوا ان علموا على ان بقاء الدين محال مالم تجعل علوم العمران نصيرة له فعكفوا على العلوم حتى برعوا في جميع فنونها فمدارسهم جامعة تفوق غيرها انظاما وإحكاما وعلماؤهم من القسيسين وغير القسيسين مستعدون لكل عمل يرتقي فيه العمران . فمتى يعود قومنا الى هذا وهم أحق به من كل أحد؟ أنت يارب المسئول بتوفيق العقلاء السعي واليك وحدك المشتكى

قلنا ان لاون الثالث عشر قد ولي البابوية والاخطار محدقة بها من كل جانب فقد كان في عهد سلفه بيوس التاسع ما كان من الثورات والانقلاب حتى نشر على عهده في باريس (إعلان) في تحريض بلاد ايطاليا على انشاء جمهورية إيطالية لايكون فيها بابا ولا دين بالمرة. وأصابت البلاد سنة فذهب الجماهير الى ان المحل والقحط من شؤم السلطة البابوية. وقد أشاع المرجفون على عهده بأن النمسا تعضد مؤامرة سرية على خلع البابا واقامة حكومة عسكرية في البلاد البابوية كلها فاضطربت رومية وكثر فيها الهرج وعجزت الحكومة عن ضبط النظام اذا كانت المدينة غاصة بجماهير المسلحين من الاهالين ثم فتح مجلس الشوري فطلب إناطة الاعمال الادارية بالعوام (يطلق لفظ العوام في مقابل لفظ الاكليروس في اصطلاحهم) وحرية المطابع وطرد اليسوعيين (الجزويت) وإعتاق اليهود وكان الشعب الثائر يؤيد طلب المجلس ثم عم الهياج بلاد ايطاليا من شمالها الى جنوبها وكان على أشده في رومية وتوقع الناس سقوط الدولة البابوية من الارض وقل احترام البابا في البلاد الاجنبية حتى ما كان يجد نصيرا

ونقول بالاختصار انه لم يستقر للسلطة البابوية قرار من بعد ثورة فرنسا سنة ١٨٤٨ بل كانت الفتن تتفاقم يوما بعد يوم وقد أظهر البابا بيوس التاسع من حب الاصلاح وارادة الخير للشعب مالامزيد عليه ولم ينتقص ذلك من قوة الحزب الجمهوري شيئاً. ولقد بلغ من الاستهانة بالبابا ان كتب الى امبراطور النمسا يلتمس اخراج عساكره من ايطاليا فكان كتابه سخرية في فينا بعد أن كان لامرد لامره ولا معقب لحكمه. وحدث في هذه السنة من لاحداث مازعزع الكرسي البابوي من الشعب الذي كان يقول ان هذا الكرسي هو كرسي بطرس الرسول نائب المسيح. ومن ذلك اتفاق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشعب والحرس المدني والعساكر المنظمة والجيش الروماني على محاصرة الكويرنال وقتل أمين أسرار البابا وإكراهه بعد ذلك على قبول وزارة إصلاحية وجعله كالأسير في قصره تاركا الاحكام الدينية والمدنية جميعا حتى اضطر الى الفرار متنكراً بهيئة قسيس الى غايتا. ثم اشتعلت نيران الفتن والثورات في جميع البلاد التابعة له كما أشرنا اليه آنفاً حتى خسر سلطته في تلك البلاد . وسنذكر نبذة من سلوك لاوزالثالث عشر في مقاومة الاخطار ، وصرف التيار ، وما في ذلك من العظة والاعتبار ،

﴿ الخديو وجمعية المسلمين في لوندره ﴾

زار عزيز مصر في هذا الصيف عاصمة الانكليز بصفة غير رسمية فلقي من حفاوة ملك الانكليز وكبار أسرته ورجال حكومته ما كان فوق الحسبان . وقد زار سموه في تلك العاصمة وفد من جمعية الاتحاد الاسلامي فيها رئيسه السيد علي البلجرامي الهندي الشهير فخطب خطبة بلسان الوفد رحب فيها بالعزيز وذكر مقصد الجمعية وسعيها في ترقية المسلمين والتأليف بين شعوبهم ووصف للامير بتأييد العلم واقتخر بالازهر وذكر ما سمع من عود الحركة العلمية اليه بعد سكونها. فأجابه الامير بأنه قد سره ان تكون هذه الجمعية جامعة لافراد من طوائف المسلمين المتفرقة على الاتحاد وقال كلمة كبيرة وهي « ان الاسلام دين اشتراكي يأمر بالمساواة بين الغني والفقير ، والكبير والصغير » ثم ذكر استياءه من قلة عدد المجاورين الهنديين في الازهر وانه يرجو ان يزيدوا في مستقبل الايام. ثم ذكر الحج والحجاج وقال انه يجب ان يسهل الحج على مسلمي كل الاقطار لانه من أركان الدين « فاذا أهمل المسلمون فريضته حلت بهم الارزاء لاهمال دين قويم يعتقده ٣٠٠ مليون من الناس »

وعندنا ان اجتماع أمراء نابر جال هذه الجمعيات مفيد جداً للمسلمين . وعسى ان يعتبر بكلمة الامير بعض الاحداث من رعيته الذين يكتبون ويخطبون للتفريق بين المسلمين باسم الوطنية ويسمون المسلم السوري في مصر دخيلا . واما اقبال الهنود وغيرهم على الازهر فهو موقوف على ترقية التعليم فيه وذلك بيد الامير وفقه الله تعالى. والا فاننا لا نأمن ان ينفر المصريون منه بعد حين الافارا من العسكرية ، أو عاجزاً عن الكسب فيتخذه له تكية ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ لأم مليم ﴾

تألم مما كتبناه عن قراء الصحف رجل هضم حقوق المنار سنتين أو ثلاثا كان يعد ويمطل ثم صرح بأنه لا يجوز أخذ قيمة الاشتراك منه لانه كاتب وأديب ولم نعرف عن غيره ان تعريف الأديب او خاصته هضم حقوق خدمة العلم والدين والآداب. تألم فكان طول ليله يحسو كؤوس المدام، ويسدد الينا سهام الملام، ويحرض سماره «والأدباء» على اتباع سنة صاحب اللواء، في معاداة الذين يسميهم الدخلاء: بأن ينفروا عن المنار وصاحبه لانه ذكر المصريين في مقال يذكر فيه معاملة الأمم وأصناف الناس لقراء الصحف فضل فيه بعض البلاد على بعض وبعض الاصناف على بعض. وقال ان هذا يعد شتما للمصريين.

ونعيد بهذه المناسبة ما كنا كتبناه من قبل وهو أن أكثر المشتركين في المنار من أهل الفضل والدين والكثيرون منهم يدفعون قيمة الاشتراك من غير مطالبة حتى انه لا يكاد توجد جريدة أو مجلة منتشرة مثل المنار ليس لها وكلاء الا في بلدين أو ثلاثة بلاد. ولم نكتب ما كتبناه تألما منهم ولكن عظة وذكرى وإنا لنحن المقصرون اذ تمر السنة بعد السنة ولا نطالب الواحد منهم بشيء. نعم ان فيهم من يمطل ولكن لا يكاد يوجد فيهم من يهضم الا نسمة رهط نحن منهم في شك وعسى ان يصلح الله حالهم

﴿ جريدة المناظر — ابطالها ﴾

سبق ان نوهنا بهذه الجريدة التي يصدرها في سان باولو (البرازيل) نعوم أفندي لبكي السوري وسبق ان افتخرنا بنهضة السوريين المهاجرين الى أمريكا في الآداب لأجلها فانا كنا معجبين بحرية هذه الجريدة وإنصافها وشدة غيرة منشئها على قومه وحبه لجنسه ولوطنه وحسن اختياره فيما يكتب وتوخيه النفع فيه. ومن دلائل طفولية الشعوب الشرقية — حاشا اليابان — ان يضطر صاحب هذه الجريدة الناهضة الى ابطالها بعد جهاد بضع سنين. أقول الحق ولا أستحي من رصفائي الفضلاء: انه اذا صح الاستدلال بفحوى الكلام ولحنه على قصد المتكلم وغرضه فان صاحب المناظر في مقدمة المخلصين في قصدهم الذين يقدمون نفع قومهم حتى على مصلحة أنفسهم. ويظهر ان أكثر قراء العربية هناك يجهلون أقدار أهل الاخلاص وأصحاب الوجدان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشريف ولاهم لهم من الجرائد الا ان يتلذذوا بمدح أنفسهم أوذم أعدائهم

كتب صاحب المناظر نشرة يودع بها الصحافة ووزعها على قراء جريدته .قال فى أولها « غدا تنضب دمعة وتذرف دمعة — تنضب دمعة هذا القلم ، وتذرف دمعة هذا الكاتب ، غدا يودع الصاحبان بعضهما بعضا لايرجوان التقاء حيث اجتمعا على مكتب الصحافة » وأقول ان كل ذى شعور بقيمة أهل الوجدان الشريف يشارك هذا الكاتب في ذرف الدموع ولكن ماأقل الذين يشعرون

وقال انه دخل باب الصحافة لثلاثة أغراض — مقاومة فساد الأمة حيث الكلمة حرة ، وترقية المهاجرين السوريين ، وتمكين علاقتهم بوطنهم لئلا تبتلعهم الأمة التي هاجروا اليها . وأنا أعتقد أنه صادق فى دعواه وأحترم أغراضه وأحترمه على البعد لانى أعتقد أنه يريد نفع الناس ولكن أكثر رجالنا كالاطفال يجبون من يسعى فى لذتهم ، لامن يسعى فى منفعتهم ، ولقد كان يجل كل كلام جليل نافع للناس وان لم يكونوا ممن أنشأ لهم جريدته . ومن آية هذا أنه كان ينقل عن المنار مثل مباحث جمعية أم القرى ومقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) ثم انه نشر ردا لبعض الكتاب على الثانية فيه شيء من التحامل ولكن لاأقول انه هو كان متحاملا

وقال في سبب إبطال الصحيفة انه كان يعلم ان من يكتب لتلك الاغراض لايكون موضوعا للاقبال ولكنه لم يكن يحسب أنه يحمل ويقاوم حتى يعجز عن النفقة عليها لانه يقصر في مدح الذين يتجنسون بغير جنسيتهم (السورية) وفى ذكر حركات المشتركين وتقلبهم فى البلاد . وقد اتى مالم يكن فى الحسبان

وبالجملة ان إبطال هذه الجريدة خسارة على السوريين لاعوض عنها فعسى ان يوجد من أهل الغيرة والنجدة من يسعى في إعادتها ، من حيث يجدون في مساعدتها .

(كتاب دلائل الاعجاز)

نشر نا نموذجا من هذا الكتاب الجليل فى البلاغة بالحروف والهوامش التي نطبعه فيها ومنه يرى القراء أن المطبعة قد استكملت أنواع الحروف حتى الشكل وصارت مستعدة لطبع الكتب وغيرها . اما الاشتراك في الكتاب فهو ١٥ على كبره وحسن ورقه وطبعه وسيكون ثمنه بعد تمام الطبع عشرين قرشا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿كيفية جمع إعانة سكة حديد الحجاز﴾

أخبرنا شاهد عدل ان أحد مختاري القرى في سوريا جمع من كل رجل من قريته ريالا للاعانة ولكنه لم يدفع مما جمعه الا نحو ثلثيه فاذا كان المتصرف يأخذ ثلث الباقي أيضا ويرسل الى الولاية ثلثيه وكان الوالي يفعل هكذا فيما يرسله الى الاستانة فان الذي يبقى للاستانة نحو الخمس حتى كأن المال غنيمة لا يصل الى بيت المال منه الا خمسه . والسبب في وقوع هذه الخيانة من مثل ذلك المختار الذي لا ذمة له ولا أمانة هو عدم نشر كل ما يدفعه الناس هناك في الجرائد وعدم طبع وصولات مسلسلة الاعداد يحاسب بها الجامعون للاعانة . نعم أن تنبه الحكومة العثمانية في جميع الولايات لتلافي ذلك وأن تأمر باصدار صحف تابعة للجرائد الرسمية في كل ولاية يبين فيها كل ما يدفعه الناس وترسل كل صحيفة الى الجهة التي ذكر أسماء أهلها فيها . وأن لا يجمع شيء من الأعانة التي يأمر بها السلطان أخيراً الا بوصولات مختومة مسلسلة الاعداد

هذا وقد كثر الذين يجمعون الاعانة في هذه البلاد ومنهم من لا يوثق بأمانته فيجب على كل أحد ان يحتاط فيما يتبرع به فلا يضعه الا في يد أمين كادارة المؤيد في مصر واللجنة الكبرى التي يرأسها أحمد باشا المنشاوي في الغربية

البدع والخرافات

وأقوال العلماء

﴿عود الى سرد الاحاديث الموضوعة﴾

مناقب الصديق : — (١) حديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم «قال يا أبا بكر ألا أبشرك» قال: بلى فداك أبي وأمي: قال «ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة» رواه الخطيب عن انس مرفوعا وقال لا أصل له وضعه محمد بن عبد بن عامر وله طرق منها أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر «أعطاك الله الرضوان الاكبر» فقال بعض القوم يا رسول الله وما الرضوان الاكبر ؟ قال «يتجلى الله في الآخرة لعباده المؤمنين عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة» رواه أبو نعيم عن جابر مرفوعا وفي إسناده محمد بن خالد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المختلي وهو كذاب . ولا يغرنك ذكر الحاكم له في مستدركه فكم في المستدرك من الاحاديث الموضوعة والواهية

(٢) حديث ان أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : إني كنت معك في الصف الاول فكبرت وكبرت فاستفتحت بالحمد فقرأتها فوسوس الي شيء من الطهور فخرجت الى باب المسجد فاذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول : وراءك : فالتفت فاذا أنا بقدس من ذهب مملوء ماء أبيض من الثاج وأعذب من الشهد وألين من الزبد عليه منديل أخضر مكتوب عليه : لا إله الا الله ، الصديق أبو بكر : فأخذت المنديل فوضعته على منكبي وتوضأت للصلاة وأسبغت الوضوء ورددت المنديل على القدس ولحقتك وأنت في ربع الركعة الاولى فتممت صلاتي معك يارسول الله : قال النبي صلى الله عليه وسلم « أبشر ياأبا بكر الذي وضأك الصلاة جبريل والذي مندلك ميكائيل والذي مسك ركبتي حتى لحقت الصلاة إسرافيل » هو موضوع ومحمد بن زياد المذكور في اسناده كذاب وقد روى نحو هذا لعلي بن أبي طالب وفيه ذكر المنطل والمنديل والكل كذب موضوع

ونقول ياليت عزرائيل انتقم من واضع هذا الحديث لانه لم يجعل له حظاً في هذه الخدمة فأخذ روحه الخبيثة قبل ان تعمل أكاذيبه الى الناس . وان المارس للسنة الفقية في الدين ليعرف فيه الكذب وان لم يطلع على نقلنا عن المحدثين في وضعه وكذب مخترعه ولكن جهلة العامة يفتتون بمثله وينظمونه في سلك الكرامات والخوارق

(٣) حديث ان الله لما خلق الارواح اختار روح أبي بكر الصديق من بين الارواح فجعل ترابها من الجنة وماءها من الحيوان وجعل له قصراً في الجنة من درة بيضاء الخ رواه الخطيب عن عائشة مرفوعا وقال لايثبت وقد اتهم به هرون بن أحمد العلاف المعروف بالقطان . وقد جزم الذهبي في ترجمته من الميزان بان هذا باطل . وفي معناه أحاديث نترك ذكرها فانتقص عليه

(٤) حديث ان يهوديا قال لأبي بكر : والذي بعث موسى وكلمه تكليما اني أحبك : فلم يرفع أبو بكر له رأساً تهاونا به فهبط جبريل وقال « يامحمد ان العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك قل لليهودي الذي قال لأبي بكر : إني أحبك : ان الله قد أحاد عنه في النار خلقين — لاتوضع الانكال في عنقه ولا الاغلال في عنقه لحبه أبا بكر » الخ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رواه ابن عدي عن أنس مرفوعا وهو موضوع في إسناده وضاعان .

(٥) حديث «ان الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه فاسمعوا له تفلحوا وأطيعوه ترشدوا» رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعا وهو موضوع للاحتجاج به على الشيعة بل كل هذه الاحاديث قد وضعت لمثل هذا الغرض فقد كانت سوق الرواية رائجة في أيام الفتن والخلاف فوضع الكذابون من كل قوم من الاحاديث ماشاءوا ينصرون بها مذهبهم فما كان أشأم تلك المذاهب على الاسلام !!!

(٦) حديث بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع جبريل اذ مرّ أبو بكر فقال «هذا أبو بكر» قال «أتعرفه ياجبريل» قال «نعم إنه لفي السماء أشهر منه في الارض وان الملائكة لتسميه حليم قريش وانه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك» رواه ابن حبان عن أبي هريرة مرفوعا وفي إسناده اسماعيل ابن محمد بن يوسف كذاب . وذكر له صاحب (اللآلئ المصنوعة ، في الاحاديث الموضوعة) طريقاً أخرى فيها وضاع . وقال الذهبي : إسناده مظلم : وتعقبه ابن حجر في لسان الميزان بأن رجاله معروفون بالثقة وليس فيهم من ينظر في حاله الا المعلى بن الوليد وقد ذكره ابن حبان في الثقات . قال في الفوائد المجموعة مستدركا على ابن حجر : بل في اسناده اسمعيل بن محمد وهو كذاب وقد قال الحاكم انه يروي الموضوعات . فلينظر القارئ كيف يشتبه في مثل هذا الحديث الحافظ ابن حجر وينسى اسمعيل الذي حكم عليه بالوضع الحاكم على تساهله ووقوعه في رواية الموضوعات بحسن ظنه

﴿ البيوت ـ منكراتها وعاداتها ﴾

تهتك النساء : تبتدع نساء المسلمين في مصر كل يوم زيا جديداً من أزياء الخلاعة والتهتك فلم يكتفين عند الخروج باظهار بعض الرأس ومعظم الوجه وصفحتي العنق والنحر حتى جعلن في هذه الايام أكمامهن قصيرة واسعة فهن يمشين في الاسواق وسواعدهن بارزة من وراء معاصمهن المطوقة بالاسورة فلم يبق من الزينة شيء الا وقد أبدينه حتى وقعن في مخالفة نص القرآن الذي لاخلاف فيه وهن مع هذا كله معدودات من أهل الحجاب . فأين أهل الغيرة ؟ أين أهل الصيانة ؟ أين الذين ملأوا أرض مصر صراخا وعويلا أن قال قاسم بك أمين ينبغي أن نربي المرأة ونعلمها ثم نأذن لها بعد ذلك بأن تميط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا المنديل عن أنفها لتستنشق الهواء النقي ثم لتستر مع ذلك رأسها ونحرها وصفحتي عنقها وسائر بدنها ؟ أليس ماقاله أهون بشرطه وبغير شرط مما عليه نساء أولئك الصائحين النائحين الذين ينكرون الكلام ، ولاينكرون الموبقات العملية التي يشاهدونها في كل آن ، ؟

﴿ الخدم في البيوت ﴾

يعلم كل مقيم في مصر ان الناس يبيحون للخدم من الرجال الخلوة بالنساء في جميع الحالات فالخادم يساعد سيدته في المطبخ حاسرة عن رأسها وذراعيها ، كاشفة عن صدرها وساقيها ، ومنهن من تلبس في حال غسل الثياب الأخلاق الممزقة فيبدو منها مالم يكن يبدو . ويصعد معها الى السطح يساعدها على نشر الثياب وهي في مثل ماذكرنا من ثياب البذلة ويدخل معها في بيت الدواجن لاطعامها وربما أغلق الباب عليهما لئلا يطير الحمام أو يفر الارنب . ورب البيت يعرف كل هذا ولا يبالي به ولا يتأثم منه وان كان في خادمه من الشباب والفتاء ماليس فيه ! وليس هذا المنكر مما تدعو اليه ضرورة المعيشة بل لاحاجة اليه ولو كان محتاجا اليه لكانت الموانع التي تمنع منه أولى بالترجيح من الحاجة التي تدعو اليه لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح في نظر الشرع والعقل معاً

واننا لنعجب من أمر هؤلاء الرجال الذين نبذوا الشرع آدابه وأحكامه وحرموا ثمرة العقل من البصيرة والاحتياط كيف أفسدت عليهم عادات البلد السوءى وجدان الغيرة فسمحوا لهؤلاء الخدم — الذين هم أضل سبيلا من الأنعام بخبث طينتهم وسوء تربيتهم — ان يمازجوا نساءهم في الخلوات والجلوات ، والذين لم يسمح بهذا لاطفالهم في جميع الحالات ، اذ أمر تعالى بأن يستأذنوا في بعض الاوقات «يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات — من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم » فاذا كان الله لايسمح لأولادكم ان يروا النساء في الاوقات التي هي مظنة التساهل في الستر لئلا ينقش في ذهن الولد من رؤية العورات مايشتغل به خياله . وتسوء في الآداب حاله ، فكيف تسمحون لهؤلاء الرجال الاشرار بما لايسمح به الشرع للاطفال الصغار . ! !

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ الفقيون في البيوت ﴾

يطلق أهل هذه البلاد على حافظ ألفاظ القرآن لفظ (فقي) ويجمعونه على (فقها) وان كانوا في الغالب لا يكادون يفقهون حديثاً وما ذكرناه في العنوان من الجمع هو أولى من جهتي اللفظ والمعنى معاً . ومن العادات الضارة في هذه البلاد — وان صبغت بصبغة الدين — أن أكثر البيوت يعين لها فقيون يجيئونها في ساعة من ليل أو نهار فيقرءون شيئاً من القرآن حيث يكون النساء وينصرفون . وانهم ليخلون بالنساء كثيرا والخلوة محرمة بإجماع المسلمين سواء كان الرجل والمرأة بصيرين أو أعميين أو أحدهما أعمى فقط . وقد سمعنا من أهل النقد والبصيرة حكايات كثيرة في مفاسد هذه الخلوات بل حدثنا غير واحد من أهل النقد بأن من هؤلاء الفقيين من يتوسل بكلام رب العالمين ، الى الصلة بين المعشوقات والعاشقين ، فكأن هؤلاء العميان يكافئون صنف المبصرين الذين يقودونهم بعمل من جنس عملهم فكل صنف يساعد الآخر على مالا وصول اليه بدونه ، ويقوده في المسالك التي يحتاج فيها الى قيادته ،

وليت شعري ماذا يريد الذي يعين فقيا أعمى يقرأ لامرأته في بيته مالا تفهمه ولا تعقله ؟ أيريد تقوية دينها بقراءة ذلك المأجور ؟ كيف وهو لم يلقنها عقيدة المسلمين ، ولم يرضها بشيء من أخلاق الدين ، ولم يعلمها الصلاة بالقول ، ولم يمرنها على آدائها بالعمل ، ولم يذكرها يوما من الأيام بالدار الآخرة ، ولم يحدثها في ليلة من الليالي بالحساب والعقاب ، فأي فائدة لها في سماع نغمات ذلك الرجل المأجور الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء ؟ نعم ان هؤلاء الفقيين لا كسب لهم وان أكثرهم مستحق للصدقة فمن تصدق عليهم فلا يجعل صدقته أجرا لهم عن التغني بكتاب الله في بيته والوقوف على عورات اهله وان أمن فتنتهم فكيف به إذا لم يأمنها

فان قيل : ان المسلمين يحسنون الظن بحملة القرآن وأنت تحملهم على إساءة الظن بهم ، أقول روى أحمد وأبو داود والترمذي (وصححه) والنسائي وابن حبان من حديث أم سلمة قالت : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة فأقبل ابن أم مكتوم حتى دخل عليه وذلك بعد ان أمر بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتجبا منه » فقلنا : يارسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال « أفعميا وان

أنها السنا تبصرانه» وقد علل المحققون النهي بأن الاعمى قليل العناية بالستر . فاذا كان هذا قول النبي لازواجه اللواتي أذهب الله عنهن الرجس وطهرهن تطهيرا في شأن ابن أم مكتوم الذى عاتب الله النبي في الاعراض عنه لدعوة سادات قريش وقال في شأنه «وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى» فماذا تقولون أنتم في عميان مصر دار الفسق في هذا الزمن الذى فشا فيه الفجور وفار التنور . فاتقوا الله أيها المسلمون . وطهروا بيوتكم واستعينوا بذلك على تربية أولادكم، والاهالكم وأهلكم بلادكم ،

وأقبح من خلوة الفقيين بالنساء في البيوت، خلوتهم بهن في (أحواش) القبور، فان هذه الخلوة أتم من تلك لأن البيوت لاتخلو في الغالب من الاولاد والخدم فالخلوة الصحيحة فيها متعسرة على أن في الخلوة من المفاسد مافيها . وان الشافع لجميع مايكون في المقابر من البدع والمنكرات استحباب زيارة القبور أو الاذن فيها لاجل الاعتبار بالموت. فيستباح لاجل هذا الاستحباب من المحرمات مايستباح ويعد كله قربة الى الله تعالى وان كان كله فسادا لاشيء من العبرة والعظة فيه. هذا وان الاحاديث الصحيحة تدل على ان الاذن بزيارة القبور بعد النهي عنه خاص بالرجال ولقد لعن صلى الله عليه وسلم زائرات القبور . هذا مانصح به لاخواننا المسلمين ، وان سماه ذلك « الكاتب الاديب » شتما للمصريين . فان النهي عن المنكر فريضة « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

(طلب الزواج بلسان الصحف)

رأينا في بعض المجلات والجرائد عادة جديدة قلد المصريون فيها الاوربيين وهي طلب الزواج بلسان الصحف، يكتب الفتى شيئا في ترجمة نفسه ومورد معاشه ثم يذكر الصفات والنعوت والحالات التي يحبها فيمن يريد التزوج بها ثم رأينا أكثرهم يطلب ان ترسل اليه صورتها الشمسية (الفوتغرافية) وطلب بعضهم ان يأذن له أبواها أو غيرهما من أوليائها برؤيتها في حضرتهم وهذا طلب شرعي ولا بأس به اذا كان أهل الفتاة راضين من أخلاق من يخطب اليهم وواثقين بأنه يعلم أدبه ان يذكر ذلك اذا لم يتم الاتفاق على الزواج . وأما طلب الصور فلا شك أنهم من النابتة المتفرنجة الذين لايخطر في بالهم أدب الدين ولا أحكامه ولو تفكروا في ذلك لعلموا ان تصوير الفتيات يتوقف على بروزهن للمصور وسافرات حاسرات كما هي العادة. ولا يتوهم ان أحداً يطلب صورة امرأة ملفوفة في ملاءتها متبرقعة لا يظهر منها الا الحدق . سبحان مقلب القلوب والابصار قد صار شبان المسلمين يشترطون فيمن يريدون التزوج بها أن تكون من تبرز امام المصورين، وكانوا يغارون على النساء من الاهل والاقربين،